

روائع المسرح العالمي

٣٢

القبارة الحديثة

لقبارة العازف الفلندي أدنار بلاز : البرزى يحمل السبعين على النهر،
والفضحة يُضحككم ، أما المديونة فيسندة رموعهم ويكبرهم ..

تأليف	جوزيف أوكونور
ترجمة	عزيم مري عبد الملك
مراجعة	فريد عبد الرحمن
تقديم	درنخ حبيب

٥

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

هذه ترجمة كاماة لسرحية :

THE IRON HARP.

by

JOSEPH O'CONOR.

المسرح الإيرلندي الحديث

ومرحية

The Iron Harp القيثارة الحديدية

المأساة التي تقدم لترجتها هنا مسرحية للكاتب والممثل
الإيرلندي جوزيف أوكور J. O'Conor المولود في مدينة
دبلن - عاصمة أيرلندا - في سنة ١٩١٦ والذي سافر الى
لندن قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ليحترف التمثيل بها ،
ثم لم تلبث الحرب أن نشبت فانخرط جنديا في صفوف الجيش
البريطاني ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى لندن ليعمل
في المسرح من جديد ، ولينبع في تمثيل الأدوار الدينية نبوغا
كبيراً يجمع فيه بين الناحيتين المادية والروحية .. بجسه الفارع
وقسماته النفاذة وعينه الصافيتين ولفاته التي تشبه لفتات
الأنبياء والقديسين .. ثم بروحه الرفافة الشفافة التي أهلته
للقيام بدور السيد المسيح في عرضين تمثيليين لمسرحيتين من
مسرحيات الأسرار الدينية أو ما يسمونه بالـ Mystery Plays
التي عرضت في مدينة يورك الانجليزية في عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٤ .

ولم يزل جوزيف أوكنور يرقى في مدارج التثليل والادارة المسرحية أيضا حتى وقع عليه الاختيار لرئاسة فرقة الأولد فيك The Old Vic بمدينة برستول .. وكان ذلك في عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ .

ولم يكتب جوزيف للمسرح الا فى سنة ١٩٥٥ .. وكانت مسرحيته التى تقدم لترجمتها هنا هى أول ما كتب .. وقد اختار لها موضوعا ، أو قل موقفا ، من مواقف حرب التحرير الأيرلندية التى اندلعت نيرانها فى الفترة نفسها التى اندلعت فيها نيران ثورتنا المصرية الأولى سنة ١٩١٩ وللسبب نفسه الذى اندلعت من أجله الثورة الأيرلندية ، والثورة الهندية أيضا — ثورتنا المصرية بزعامة سعد زغاول ، والثورة الأيرلندية بزعامة المستر دى فاليرا De Valera ، والثورة الهندية — أو حركة العصيان المدنى — بزعامة المهاتما غاندى . وقد كان السبب هو حث انجلترا وخلفها لما وعدت به هذه البلاد من منحها حريتها ورد استقلالها المفقود بعد أن تنتهى الحرب العالمية الأولى اذا ساعدتها هذه البلاد فى الخروج منها خلافا .. فلما انتهت الحرب .. واثرت انجلترا وحثت فيما وعدت به تأججت نيران هذه الثورات كلها .. وقد كانت أيرلندا أول بلد حقق استقلاله بفضل حركة حزب السن فاين Sinn Feiners

بزعامة المستر دى فاليرا .. ذلك الحزب الذى أرق عيون
الانجليز ، وجعل أيرلندا كلها ميدانا فسيحا متشعبا لحرب
العصابات واغتيال الانجليز أينما وجدوا ، مستعملا معهم اللغة
التي لا يفهم الانجليز لغة سواها .. ولم يقصر نشاطه على
أيرلندا وحدها بل تعداها الى انجلترا نفسها ومدينة لندن
بالذات . اذ قلبها ججيا على رؤوس أهلها ..

هذا ولم ينجأ السن فاين بزعامة دى فاليرا الى ما لجأ اليه
الهنود بزعامة غاندى الذى آثر المقاومة السلبية والعصيان
المدنى ، مفضلا أن يقهر بطش الانجليز وصلتهم وجبروتهم
بما رسمه من سياسة العصيان المدنى السلبي هذه .. وهى
السياسة التى كلفت الهنود كثيرا وحصلتهم من الآلام والمصائب
ما لا طاقة للبشر به .. وكذلك لم يسلك سبيل المفاوضات غير
المجدية التى سلكها زعماء مصر سنة ١٩ « بل آثر سياسة السيف
والمدفع .. السيف الذى قال فيه أبو تمام انه أصدق انباء من
الكتب ، لأن فى حده الحد بين الجد واللعب .

وقد حاولت انجلترا مقابلة هذه السياسة التى سلكها
السن فاين بسياسة أشد منها عنفا وأكثر بطشا .. فأنشأت
فرق البوليس الحربى المعروفة باسم ان Black & Tans
وسمى الفرق التى بتردد ذكرها فى هذه المسرحية ، والتى كان

من خطتها قتل بعض الأيرلنديين الأبرياء مقابل كل انجليزى
أيا كان عمله يقتله السن فاين ، أو يقتله الايرلنديون .. فقد كان
أهل أيرلندا جميعا جنودا فى معركة التحرير . وقد استغل
المؤلف هذا الاجراء التعسفى فى مسرحيته التى سنتناولها
بالتفصيل فيما بعد .. وقابل الأيرلنديون هذا الاجراء بالمثل
فكانوا يقتلون من أسراهم الانجليز بقدر من يقتل الانجليز من
الأيرلنديين .. وهكذا استشرى القتل وعمت الأحقاد .. ولم يعد
أحد من الجانبين يستطيع الاطمئنان على حياته .. وجن جنون
الانجليز واثتد سعارهم بالصورة نفسها التى حدثت عندنا فى
دشواى ومجازر القاهرة وملتظا سنة ١٩١٩ سنة ١٩٢٠ حينا
كانت شراذم جيش الاحتلال الانجليزى تحصد بمدافعها جماهير
المتظاهرين فى المدن المصرية .. وهى الجماهير التى كانت تطالب
بتحرير الوطن من براثن القراصنة .. وهو نفسه ما كان يحدث
فى هذا التاريخ نفسه - وفى سنة ١٩٢٠ بالذات - - مدينة
كورك وما حولها .. حينما راح الانجليز المستعمرون يثأرون
لقتيل أو قتيلين من جنود السود والتان المذكورين فيصوبون
مدافعهم الى الأعالي ويقتلونهم بالمئات ويدمرون بيوتهم
ومواشيهم ومصانعهم ومزارعهم ، حتى قدرت الخسارة فى هذه
الهجمة الجنوبية وحدها بثلاثة ملايين من الجنيهات .. وهو

ما أثبتته واستبشعه الكاتب الانجليزي ه . ج . ولز H.G.Wells نفسه ، في كتابه الرائع : خلاصة تاريخ العالم .

وبعد .. فهذا طرف من صراع أيرلندا في سبيل استقلالها .. الصراع الذي اختار كاتبنا المسرحي الناشئ صورة منه ليجعلها موضوع مسرحيته هذه ، تلك المسرحية التي فرجى الحديث عنها حتى نستعرض تاريخ المسرح الأيرلندي الحديث لترى مكان هذه المسرحية من ذلك الصراع الرهيب .

وتاريخ المسرح الأيرلندي الحديث متصل اتصالا وثيقا بنهضة الأدب الأيرلندي الحديث .. تلك النهضة التي لم تبدأ بداءة جدية الا في أوائل القرن العشرين أو أواخر القرن التاسع عشر ، حينما تضافرت مجهودات أديب أيرلندا الأول وليم بتلريتنس W. B. Yeats (١٨٦٥ - ١٩٣٩) وليدى أوجستا جريجورى Lady. A. Gregory (١٨٥٢ - ١٩٣٢) وجورج موري G. Moore (١٨٥٢ - ١٩٣٣) وادوارد مارتن E. Martyn (١٨٥٩ - ١٩٢٣) وكونوا جماعةهم الأدبية ثم أنشأوا مسرحهم الأدبي الأيرلندي أو The Irish Literary Theater الذي تمخض عن فخر المسارح الأيرلندية كلها ألا وهو مسرح الأبي The Abbey Theater بمدينة دبلن ، والذي ساهمت في انتمائه مس آنى الزابث فردريكا هورنيان

. (١٨٦٠ - ١٩٣٧) Miss Annie E. F. Horniman

وفى هذا المسرح ظهرت مسرحيات سين أوكاسى (١٨٨٤ - ٠)
الذى عنى بتصوير حياة العمال فى مآس تشبه الملاحى .

هذا ولم يكن لأيرلندا من الأدب الحديث أو المسرح
الحديث شىء يذكر قبل هذه النهضة .. وكل ما كان لهم قبلها
بقايا من الأدب الكلتى الذى زحف الى أيرلندا من الشرق
ثم استقر فيها .. وكان أجمل ما فى هذا الأدب هو تلك الملحة
المسماة تايين Tain التى تصف حياة قوم رعائيين يستعملون
فى حروبهم العجلات الحربية التى نجد لها مثيلا فى الياذة
هومبوس ، وكانوا يعلقون رؤوس قتلى أعدائهم فى عقود
يجعلونها حول رقاب جيادهم التى تجرى كلاب الحرب بين
أيديها .. باعثن بذلك الرعب فى قلوب من يجروا على الوقوف
فى وجوههم .. أما المسرح فقد ثبت أنهم عرفوا المسرحيات
الدينية بكل أنواعها .. والأيرلنديون كما هو مشهور
كاثوليكيون متمسكون بأصول مذهبهم ، ولعل هذا هو
أهم ما جعلهم يحرصون على الاتصال عن انجلترا البروتستنتية ..
إلا أن هذه المسرحيات الدينية نفسها قد ضاعت فى زحمة
النضال الدينى والسياسى بين البلدين ، وساعد على ضياعها
اللسان المهجور الذى كتبت به .

على أننا نستطيع أن نستخلص السمات الأساسية التي
اتسمت بها كل من النهضة الأدبية والنهضة المسرحية الأيرلندية
من العرض السريع الذى نضعه بين يدي القارئ للحياة الأدبية
التي عاشها كل من زعماء هذه النهضة ؛ ولئك الذين كنا نتسنى
أن تظهر روائعهم المسرحية باللغة العربية قبل ظهور مسرحتنا
هذه .. لما لهم من عظم الشأن فى هذه النهضة . ولأن منهم من
يحتل فى المسرح العالمى مركزا رفيعا لا يدان به حال مركز
« وكتور » الذى لا يزال يفضل التمثيل والاخراج المسرحى
على الكتابة للمسرح ، وان تكن مسرحيته الحالية تجمع الكثير
من سمات المسرحية الأيرلندية وخصائصها .

فأول زعماء هذه النهضة هو كما أسلفنا الشاعر والكاتب
المرحى والسياسى الكبير وليم بتلريتس ، والذى قدم لنهضة
أيرلندا المسرحية خدمات مادية لم يكن يستطيع أن يؤديها
إليها عشرات من الناس .. أما من الناحية الأدبية فالذى قام به
— لا لأيرلندا فقط ، ولكن للانجليز أنفسهم وفى جميع أرجاء
العالم — شئ عظيم جدا لم يكن يدور لأى انجليزى فى بال ..
ذلك أنه أحيأ المسرحية الانجليزية الشعرية من جديد بعد أن
انصرف عنها الانجليز أنفسهم ، وأصبحوا يعدونها سخفا
قديميا لم يعد ينطق وروح العصر الحديث .. لقد نجح بيتس

في احياء المسرحية الشعرية بأن جعل الشعر أيسر من النثر
وأسرع منه أداء وألطف في أسمع الناس وأوثق اتصالا بالمشاعر
وأخف تدفقا في الأرواح . والعجيب أن مسرحيات بيتس بالرغم
من أن معظمها بالنظم قد كتبت للأداء المسرحي قبل أن تكتب
للقراءة .. ذلك أن بيتس كان متكنا من فنون المسرح ، خبيرا
بما يسر الناس ويستهوهم وهم جلوس في الصالة .. أضف
الى هذا لفته السهلة الممتعة وأسلوبه الرشيق . وعباراته التي
تخف على الأسماع كما يخف النسيم العليل يهب من شواطئ
الروح الكلتى العذب ، كما يقول هـ . س . كرانس H.S.Krans
لقد كان بيتس أول الثلاثة العظماء في تاريخ النهضة
المسرحية الأيرلندية الحديثة .. والاثنان الآخران هما ليدي
جريجورى وادمند چون ملنجن سينج E. J. M. Synge
(١٨٧١ — ١٩٠٩) . وكان ثلاثهم يتسمون بنزعة صوفية
كانت أقوى في بيتس منها في صاحبيه الآخرين .. لمن بيتس
كان أشعر من صاحبيه .. لقد كان شاعر النهضة وراهبها
وصاحب أعلامها . انه لم يكن يهتم بتصوير المظاهر الخارجية
للحياة الأيرلندية ، لكنه كان يهتم بالتعبير عن جوهر الفكر
الأيرلندي ولباب المشاعر الأيرلندية .. لقد كان يمرح وهو
يضحكنا على أحد الآفايين المتشردين ، ناسجا حوله اطارا من

قصة رومنسية خلافة ينتزعها من دنيا الأسانير .. الا أنه يجعل
حشو هذه القصة رموزا ومجازات وفلسفات .. لكنها رموز
ومجازات وفلسفات لا تخرج بصاحبها عن أفق الشعر الجميل ..
حتى حينما يكتب ثرا .. لأن كل ما كان يقوله بيتس كان
يرسله شعرا صافيا صادقا ، سواء كان هذا الشعر منشورا
أو منظوما .. انه لم يكن يعرف الالتواء أو الالغاز الغامض
الذي يحير السامع ويضل القارئ . لقد كان بيتس ، هو
وصحابه ، ينقلوننا من عالم الواقع الى ما وراءه من عوالم
النفس الساذجة ، وما تضطرب به هذه العوالم من شطحات
وأحلام .

لقد كان بيتس روح النهضة المسرحية الأيرلندية والقلب
الناض الذي يحمل كل عمومها .. لقد كان يبحث مخلصا عن
كل من يتوسم فيه القدرة على بعث هذه النهضة والأخذ
بيدها والمسير بها في سبيل النجاح ، فلا يفتك يشجعه ويفريه
بالكتابة للمسرح ، فان لم يستطع الكتابة للمسرح أغراه
بالكتابة التي تشد من أزر النهضة الأدبية في أيرلندا وبالروح
الكلتي الذي يميز الآداب الأيرلندية عن الأدب الانجليزي
الذي أغرقه زعماءه في لجة غلابة من واقع الحياة الانجليزية ،
تلك الحياة التي تحمل ثقالا فوق أثقال من دنيا الأعمال وأدران

المادة وشهوات السياسة وألاعيب السياسيين والنفاق الذى يسود المجتمع .. أى مجتمع .

لقد كان بيتس هو وأصحابه يهدفون الى « الثورة على المذهب الواقعى ، وتجريد الأدب الأيرلندى — والمرح الأيرلندى بخاصة — للأغراض الأدبية الخالصة البعيدة عن الأفكار ومشكلات المجتمع وقضايا الحياة .. الأغراض التى لا تنشأ أصلا ولا تهتم بنقد المجتمع أو التبشير بفلسفة اجتماعية خاصة .. وقد كان سينج يتحمس لهذا الاتجاه تحمسا شديدا بالغا ، ويحتج له بالأبد للمسرحية أن تكون عملا فنيا خالصا يسمو بالنفس البشرية ويعلو بها فوق أدراان هذه الحياة المملة المتعبة المكتظة بالآلام والمواجع .. تماما كما تفعل الموسيقى السيمفونية .. ومن أجل ذلك اتجه هؤلاء الكتاب نحو الأسطورة والأسطورة الدينية أو الأساطير المناهضة لرسالات الأديان ، ونحو تصوير الروح الرفيى الذى تزيد طبيعة الجزيرة الأيرلندية فتنة على فتنة وسحرا فوق سحر » (١).

لقد راح بيتس ويده فى يد ليدى جريجورى وچورج مور ييشرون بأدب أيرلندى خالص ، أدب بعيد عن حياة التكلف والأوضاع المصنوعة .. والتقاليد الجامدة التى يريزح

(١) عن كتاب: أشهر المذاهب المسرحية- المذهب الصوفى - منشورات وزارة الثقافة .

الناس تحت أعبائها .. لقد راحوا يصورون الحياة الطبيعية
الساذجة التي يحيها الأيرلنديون السذج البطاء .. وقد علموا
كتاب المسرح الجديد اثار المواقف الخالية من التعقيد على
الصنعة المسرحية المتقنة الصنع ، وتصوير الشخصية التي تجتاز
أزمة من الأزمات على العقدة المسرحية المحبوكة التي ابتكرها
سكريب ثم جرفت أوروبا كلها بعد ذلك ، والرجوع الى مصادر
الأشياء في كنه الطبيعة لكي يصوروها في جنة الفن .. لقد
نادوا بأن يهتم الأدب بالفلاحين وأهل الريف الأيرلندي
واللاصقبن بالأرض الأيرلندية البدائيين الذين لا يخشون
الكشف عن مكتوبات صدورهم ، وأن يتكلم الأدب بنفس
اللسان الذي يتكلم به هؤلاء البدائيون . وهم في خلقهم هذا
كله في جنة الفن وطلاله الوارفة يختلفون عن كتاب المذهب
الطبيعي الذين يمرضون هؤلاء البدائيين السذج ، ولكن في
بحر طام من القاذورات البشعة .

وقد جاء الجيشان الوطنى الذى عم البلاد بأسرها عاملا
جديدا من عوامل البعث الأدبى ، وايقاظ الضمير القومى ..
ولهذا لم تكن حياة الفلاحين الأيرلنديين وأهل الريف الأيرلندي
وحدها هى مصدر الانهام للنهضة الجديدة فى دنيا الأدب ودنيا
المسرح .. بل لجأ الكتاب الجدد أيضا الى بحر الأساطير

الأيرلندية الزاخر وتاريخ أيرلندا الحافل بالبطولات يفترون
منهما الأعاجيب في عالم الشعر وفي ميدان القصة وميدان
المسرح . وقد استطاع بيتس بمؤازرة جورج مور اقتناع الكتاب
بتأليف المسرحية الأيرلندية الخالصة .. لأن مسرح دبلن الرسمى
لم يكن يعرض الى ما قبل سنة ١٩٠١ الا المسرحيات الانجليزية
التي ترد على دبلن من لندن ، بل لم يكن هذا المسرح يحيى
موسمه كل عام الا بواسطة الفرق الانجليزية الزائرة .. فلما أنشأ
بيتس وزملاؤه المذكورون في صدر هذه المقدمة : جمعية
المسرح الأيرلندى القومى كان انشاؤها أكبر حافز لاقبال
الكتاب الأيرلنديين على كتابة المسرحية الأيرلندية الخالصة ،
ومثلت بالفعل أول مسرحية من هذا النوع ، بل أول مسرحية
باللغة الأيرلندية ، واسمها : « اثناءة الحبل The Twisting
of the Rope » لمؤلفها دوجلاس هايد ، وكان ذلك في
سنة ١٩٠١ وعلى خنبة مسرح الأبي .

وعلى ذكر المستر دوجلاس هايد نقول : انه كان عضوا في
« جماعة المسرحية الغالية بدبلن : The Gaelic Drama League
in Dublin » ، والمسرحية الغالية هى فرع من المسرحية
الأيرلندية . وقد كان لهذه الجماعة أفرع في جالواي وفي كثير
من الأقاليم الأيرلندية .

. وقد أظهرت جمعية المسرح الأيرلندي القومي عددا كبيرا من نوايع الكتاب المرشحين في مقدمتهم وليم بويل W. Boyle وت . مري T. C. Murray ، ثم فخر المسرح الأيرلندي غير مدافع جون ملنجتن سينج .. ذلك الذي قابله بيتس صدفة يتسكع في مشارب باريس فأقنعه بالسفر الى دبلن من فوره والانتقال للكتابة للمسرح القومي الأدبي (الذي أصبح مسرح الأبي كما قدمنا) فسافر سينج وقدم لهذا المسرح أبداع آياته .

وسينج يشترك مع بيتس وليدى جريجورى في صورة المرحبة التي يرسم فيها حياة المزارعين الأيرلنديين المعاصرة وأحوال أهل الريف الأيرلندي .. غير أنه بلا شك فارس هذا الميدان وبطله المجلى ، كما أن بيتس هو بطل المرحبة المجازية الرمزية وفارسها المجلى .

أما ليدى جريجورى فأقرب الى دنيانا من الشاعر بيتس .. انها — كما يقول ف . و . تشاندلر F.W.Chandler (١) — تصنع شخصيات مسرحياتها من تلك الملاحظات التي تجمعها في عناية ودراسة وبعد نظر عن حولها من البشر ، وهذه الشخصيات اذا بدت أحيانا أرواحا تتحرك بلا أجساد ولتكون

(١) في كتابه Aspects of Modern Drama

مجرد بواعث للفعل الذى يجرى على خشبة المسرح الا انها
أرواح تتحرك أكثر ما تتحرك طليقة حرة مستمدة حياتها
مما تفحّت المؤلفّة فيها من روحها .. ومن هنا تختلف مسرحيات
ليدى جريجورى من مسرحيات كل من بيتس وسينج .. ان
مسرحيات ليدى جريجورى نتيجة ملاحظات فيها جهد وفيها
عناء .. أما مسرحيات بيتس وسينج فثمرّة شاعرية علوية والهام
يتدفق من أغوار الروح .

أما لماذا بذ سينج كلا من بيتس وليدى جريجورى .. بل بذ
جميع كتاب المسرح الأيرلندى .. فذلك أنه - كما يقول
ف . و . تشاندر أيضا - تعلم في فرنسا « فن إخفاء الفن ا »
لقد اكتشف في مجموعة الجزائر الآراية (في مدخل خليج
جالواى جنوبى غرب أيرلندا) كنزا من الذهب الخام الثمين
لم يزل يحول تيره الى مسرحيات خلافة كتب لها الخلود . وسينج
ليس من المفكرين ذوى الرسالة .. وليس مبشرا بمذهب جديد
في الحياة أو الاجتماع .. وهو يكفر بمسرحية الأفكار التى
تزعّمها مواطنه برنرد شو الذى هاجر الى انجلترا وأقام فيها
ليسخر من أهلها « وليكتب لهم مسرحيات تمسخها الصبغة
الارشادية والرغبة في التعليم والتهديب » لقد كان يؤمن بأن
المسرحية صنو السيفونية وقرينتها « لا تعلمنا شيئا ولا تقيم

الدليل على شيء » وأن « الذين يتناولون مشكلات المجتمع في مسرحياتهم بالتحليل والتعليل ، محاولين وضع النظم للحياة من وجهة نظرهم هم ، سرعان ما تصبح آراؤهم شيئا قديما بالبا قدم فارما كوييا چالين ! .. شيئا قديما باليا ومستهلكا .. كما أصبح ابنن ومعلمو المسرح الألماني أشياء قديمة مستهلكة » . ان الكاتب المسرحى الذى يعلم فى مسرحياته ويهذب ويريد اصلاح المجتمع لا يلبث أن يصبح شيئا قديما فى نظر الأجيال المستقبلية ، بل قد يصبح غير مفهوم عند هذه الأجيال ، لأنه انما كان يخاطب الجيل الذى يعيش فيه ، فاذا نجحت رسالته فى هذا الجيل أصبح أثرا من الآثار بعد ذلك .. وهذا هو السر فى خلود كتاب وشعراء من بلراز شيكسبير وموليير وبين چونسون ممن كانوا يصورون دخائل النفس الانسانية ليرونا فيها أنفسنا وسخافاتنا .. لقد كانوا يفضحون الانسانية ولا يعلمونها شيئا . لقد قصر سينج نشاطه على تصوير أحوال الفلاحين وأهل القرى الأيرلندية ، وهو فى عمله هذا كان يقف بمعزل منهم لينظر فى تلك الأحوال نظرة الساهر الى تلك الحياذ دون أن يكون له غرض ودون أن يتخدع بصورة غرارة مضللة .. ومن هنا احتفاله بالملهات التى يقوم ببطولتها المشردون ومن لفظتهم الحياة ، ومن لا يعرفون الاستقرار فى مكان بعنه ،

أو الطمأنينة في موطن بذاته .. وهو ينجح في بعث النبض في حياة هؤلاء المردين نجاحا كبيرا .. وهو يفعل ذلك في فكاهة فاخرة ، وفي مقدرة الأديب الصانع الذي يحرك الأشجان في نفوسنا كما يشاء ، وفي بلاغة الكاتب الذي لا يعيبه التعبير .. التعبير المنشور الذي فيه من الشعر والشاعرية أشعاف ما في منظومات أى شاعر حديث .

وهكذا تبرز المسرحية الأيرلندية الى الوجود بظهور بيتس وليدى جريجورى ، ولا سيما حينما ينضم الى فرقة آل فاي Fay التمثيلية المشهورة (سنة ١٩٠١) .. عند ذلك يتكامل المسرح الأيرلندي الحميم بجميع فنونه .. تأليفا وتشيلا واخراجا .

ثم تتعاون مع هؤلاء جميعا مس آنى اليزابث فردريكا هورنيمان . والتي اشتهرت في تاريخ نهضة المسرحين الأيرلندي والانجليزى باسم مس هورنيمان .. والتي عملت فترة طويلة من حياتها سكرتيرة أديبة لوليم بتلر بيتس بالرغم من غناها الطائل وثروتها الكبيرة .. لقد كانت مس هورنيمان مجنونة غراما بالمسرح ، فلم تبال أن تنشئ فرقة ومسرح الأبي The Abbey Theatre بدبلن ، وأن تنفق على هذا المسرح ثلاثة عشر ألفا من الجنيهات من حر مالها (ومس هورنيمان هي التي

اشترت مسرح الجايثي The Gaiety Theatre بمدينة
مشستر وأعادته تأنيثه وكوفت فيه فرقة لعرض المذخورات
المسرحية الأيرلندي أو ال Repertory الأيرلندي ، وان تكن
قد أخرجت فيه نحواً من مائة مسرحية جديدة ، وكان من آثار
عملها ذلك انتشار مسارح المذخورات في إنجلترا كلها ثم في
أوروبا بعد ذلك) .

وقد استطاع مسرح الأبي بدبلن أن يستقل بمالتيه وفنونه
ومسرحياته منذ سنة ١٩١٠ وان كان مع ذلك يتلقى من الحكومة
إعانة رمزية لا تقدم ولا تؤخر ؛ وهو الآن من أشهر مسارح
العالم ، وقد نال شهرته العالمية هذه بعد رحلة قام بها الى لندن
سنة ١٩٠٣ ثم رحلات الى أمريكا قام بها سنة ١٩١١ .

هذا في أيرلندا الحرة التي استقلت عن إنجلترا منذ
سنة ١٩٢٢ ؛ أما في الجزء الشمالي الصغير منها والمسمى ألتستر
Ulster ، والذي بقي الى الآن جزءاً من بريطانيا ، فقد
استطاع مسرح ألتستر The Ulster Theatre بمدينة بلفاست ،
ولا سيما منذ سنة ١٩٠٤ ، أن يسهم في تدعيم الحركة المسرحية
الأيرلندية ، وبمساعدة بيتس وليدى جريجورى وادوارد مارتن
أيضاً . وقد اندمج هذا المسرح في غيره من مسارح ألتستر ،
وتكونت منها جميعاً الفرقة المعروفة باسم : مسرح فرقة ألتستر



وبعد .. فهذا عرض سريع لتاريخ المسرح ونهضة المسرحية الحديثة في أيرلندا نخرج منه بالخلاصة الآتية :

١ - أن نهضة هذا المسرح لم تبدأ الا سنة ١٩٠١ بعد محاولات صادقة .

٢ - ان رواد هذه النهضة تأزرروا على خلق مسرح مستقل ومسرحيات ذات لون خاص مستقل عن المسرح الانجليزي بخاصة وعن المسرح العالمي بصفة عامة .

٣ - أن المسرحية الأيرلندية الحديثة يغلب عليها الفن الخالص أكثر مما تغلب عليها الرغبة في أى اصلاح اجتماعى أو التبشير بأفكار جديدة أو اثاره مشكلات جديدة ، والمسرحيات الوطنية نفسها لم تتسم بروح الدعاية حتى في عنفوان معركة التحرير .

٤ - أن من الممكن تقسيمها الى أنواع ثلاثة مختلفة هي (أ) : المسرحيات المجازية الرمزية الممتلئة بالفلسفة التجريدية . (ب) : المسرحيات التى تأخذ مادتها من

الفولكلور الأيرلندي ، وبالأحرى من الأساطير الشعبية الأيرلندية يعالج فيها كتابها موضوعات البطولة بروح جدى ، و موضوعات التاريخ الحديث بروح ساخر ضاحك مرح . (ج) : المسرحيات التى تصور حياة الفلاحين وأهل القرى تصويرا لطيفا لا ينحط الى طريقة كتاب المذهب الطبيعى .

٥ — أن كل هذه الأنواع ، سواء المنظوم منها أو المنثور ، يتسم بتسبغة شعرية جميلة تقضى عليها — بكل أسف — الترجمة الى اللغات الأخرى ، ولا سيما اذا كان المترجمون لا شأن لهم بالشعر .

٦ — أن كلا من زعماء هذه النهضة الثلاثة يتميز عن صاحبيه فى أحد هذه الأنواع وان شاركهما فى النوعين الآخرين .

٧ — أن بيتس هو خالق هذه النهضة ومعيد الحياة الى المسرحية الشعرية ، وأن سينج هو أشهى ثمراتها .

* * *

ونحن اذا طبقنا هذا كله على المسرحية التى بين أيدينا هنا وجدنا المسرحية تعكس معظم السمات البارزة التى تتسم بها المسرحية الأيرلندية الحديثة ، وأنها تبرز الروح المسيحى

بخاصة .. روح المحبة والايثار والوفاء بالمعهد .. ثم هي تنفذ تعاليم السيد المسيح التي من أهمها أن يحب الانسان الناس جميعا .. وأن يحب عدوه كما يحب صديقه .. وأنها تنفذ هذه التعاليم ولا توحى بها ولا تحض علينا ابقاء على الناحية الفنية الخالصة .. لأن من أبرز سمات المسرحية الأيرلندية — كما قدمنا — البعد عن الدعاية لأي لون من ألوان الاصلاح أو التبشير بأية رسالة اجتماعية بقصد التهذيب أو الدعوة لمبدأ من المبادئ .. وما لا شك فيه أن الأستاذ المؤلف — جوزيف أوكنور — كان متأثرا في تصوير الروح المسيحي بهذه السوابق التي سبقت في حياته حينما كان يقوم في صدر شبابه بتشيل الأدوار الهامة في مسرحيات الأسرار الدينية التي اشترك في تشيلها ، و لاسيما تمثيله دور السيد المسيح نفسه في مسرحيتين من أهم هذه المسرحيات .. وهذا مثار لمسألة بالغة الأهمية ، اذ كثيرا ما تساءل العلماء المشتغلون بعلم النفس المسرحي عما يكون للدور التشيلي ، كبيرا كان هذا الدور أو صغيرا ، في نفسية الممثل من تأثير .. وهل يمكن أن يغير هذا الدور من طبيعة الممثل وأخلاقه وسلوكه ، ولا سيما اذا تكرر الدور في مسرحيات متشابهة يقوم الممثل فيها بأدوار متشابهة ؟ ان من واجبات الممثل البدائية والتي تعد ألف باء

فن التمثيل أن يتقمص الشخصية التي يمثلها وأن يندمج فيها اندماجا تاما غائرا حتى يشعر بمشاعرها وينبض قلبه بنبضات قلبها ، وحتى يتصرف كما كانت هذه الشخصية قميئة بأن تتصرف في الحياة الحقيقية ، بشرط ألا يدع لعاطفته مجالا للسيطرة عليه حتى لا تفسد عليه تمثيله .. فإذا كان ذلك كذلك.. فما بالك بالمثل الذي يقوم بدور السيد المسيح .. ذلك الدور الروحي الذي يحل المثل فيه محل تلك الشخصية العلوية المقدسة التي يجلبها ويؤمن بها نصف سكان هذا الكوكب ، بل منهم من يرفعها فوق مرتبة الاجلال والايمان الى مرتبة العبادة ! ان هذا دور رهيب يحمل من المسؤوليات ما لا يحمله أى دور آخر .. انه الدور الذى يذكر من يجلوذ السيد المسيح والمؤمنين به ويرفعونه الى مراتب العبادة بما كان السيد المسيح من طير ونبل ومحبة وفداء وتقاء وسناء ووفاء وتحمل للآلام وتحرر من زخرف الحياة وانشغال بمهام الرسالة الكبرى عن مطالب اللحم وشهوات البدن .. ان الدور يذكر المتخرجين بهذا كله ، وما هو فوق هذا كله .. انه يذكر الانسان بالسماء والطمع فى خلود النعيم .. فى عليين .. ومن ثم وجب أن يكون من يقوم بتمثيله رجلا لا تشوب حياته شائبة .. رجلا حسن السمعة تقى السيرة طاهر السريرة .. والرجل الذى يكون من هذا القبيل

إذا قام بتمثيل هذا الدور وتمصه حقا لم يستطع مطلقا أن ينساه ، ولم يستطع مطلقا أن ينسى أنه كان مسيحا ولو على خشبة المسرح .. ومن هنا هذا الروح الطهرى الرفيع الذى فلمسه فى تلك المسرحية التى كتبها نفس الرجل الذى مثل دور المسيح .. الروح الطهرى الذى ربما ألقى فى روعنا أنه محال فى محال .. لأننا ، ان لم نطقن الى ماخى المؤلف فى عالم المسرح ، يخيل لنا أن ما صوره لنا هذا المؤلف فى شخصية ميكل أوريووردين أولا ، ثم فى شخصية سين كللى ثانيا .. ثم أخيرا فى شخصية جون تريجارتن ... هو أضرب متشابهة من المحال ، بل العقم .. المحال الذى لا يخطر أبدا فى عقل عاقل .. ولا يدور الا للسخفاء فى بال .

واليك خلاصة المسرحية أولا لترى أننا كنا على حق فى تنبيهك الى هذه الملاحظة الضرورية التى يجب أن يلقي القارىء باله اليها حتى لا يختار كما حرنا فى أمر هذه المسرحية وفى أمر تلك الشخصيات المذكورة بالذات .



نحن فى قصر ريفى من قصور أيرلندا اشتراء رجل من رجال الأعمال الانجليز يدعى المستر پيتر تولى Peter Tolly ليقضى فيه أجازاته ، والعجيب أنه عهد بحراسة القصر وادارة

ممتلكاته في أيرلندا الى ضابط أيرلندي أعني يدعى ميكل أوريوردن M. O'Riordan فقد بصره منذ قريب . والظاهر أنه فقد بصره ذلك في معركة التحرير التي كانت على أشدها في زمن أحداث المسرحية ، أي في غضون سنة ١٩٢٠ .. وها هو ذا مستر توللي صاحب القصر يستعد للفرار من قصره ذلك لأنه لم يجد فيه الراحة التي كان ينشدها .. بل على العكس كانت طلقات الرصاص تزعجه من حين الى حين ، وكان اذا سأل خادمه عن مصدرها قال له ان ثمة من يسيد الأرانب ، يدلل أن الطلقات كلها من عيار رصاص صيد الأرانب وليس من عيار رصاص سييد الانجليز (!) .

ونسمع الرجل وهو يعجب من أمر وكيله الأيرلندي الأعمى ميكل أوريوردن ، هذا الرجل الذي راح يتصرف في القصر كأنه ملكه الخاص .. ففند ماذه بأصدقائه وأحبائه وأخذ يحتل من غرفه ما يشاء .. ويجعل منه ثكنة للجنود يمشون فيه ويمشون .. ثم نسمعه وهو يسأل أوريوردن عن هذا كله ، ويسأله عن هذا الكابتن الغامض جون تريجارتن Tregarthen الذي يدخل القصر ويخرج منه وفي صحبته تلك الفتاة الجميلة موللي كينسلا Molly Kinsella وعلى كاهله بندقية صيد الأرانب .

وهنا تدعشنا اجابة أوربوردين وتوقعنا فيما يشبه أن يكون اتهاما للمسرحية ، وغضا من قيسنها .. اتنا نسع أوربوردين يقول ان الكايتن چون هذا ان هو الا ضابط بريطانى وقع فى أسر جيش التحرير الأيرلندى ثم عهد به الى أوربوردين الضابط الأيرلندى الأعمى ليحافظ عليه .. فهو الآن أسيره .. ولما لم يكن فى وسع أوربوردين أن يحافظ عليه لأنه أعمى ، فقد اكتفى منه بكلمة شرف ألا يفر ، بل لا يحاول الفرار .. وقد أعطاه چون هذه الكلمة .. ولم يكن ثمة من الجنود الأيرلنديين من يمكن أن يبقى مع أوربوردين لحراسة چون .. لأنهم جميعا كانوا منهكين فى المعركة ضد الانجليز (!) .. ثم لا يلبث أوربوردين أن يميل الى هذا الضابط چون بالرغم من أنه عدو بلاده وقد جاء مع الجيش الانجليزى ليحاربها ويقتل أبناءها .. ثم لا يلبث الميل أن يكون صداقة ، والصداقة أن تكون محبة واعزازا .. تماما كما أوصى السيد المسيح أتباعه بأن يحبوا حتى أعداءهم .. وباليات الأمر يقف عند هذا الحد .. ان موللى الفتاة الجميلة هى ابنة عم أوربوردين .. أى أنها أيرلندية .. وأوربوردين ينطوى لها على محبة قديمة وغرام مكين . والفتاة تدرك هذا كما ندركه نحن ... لكنها أحبت الضابط الانجليزى الأسير چون تريجارتن وهامت به . واذا شعر ابن عنها أوربوردين بهذا

تألم له ألما خفيفا لطيفا .. نكن أوربورذن في هذه المسرحية هو صورة صادقة من المؤلف .. وبالأحرى من المحبة المسيحية بجميع ألوانها .. انه يجب ابنة عمه .. لكنه أعمى .. ويعرف أن فتاة عذراء جميلة مثل موللى لا يمكن أن تنسى قلبها وتحب رجلا أعمى مهما كانت تسيل اليه وتمعج به وتمتطف عليه ، وهو لهذا يبارك هذا الحب بينها وبين جونى .. وهو يباركه متحسسا له حريضا عليه ، ما دام أن فيه سعادة موللى .. ثم سعادة غريمه .. بل صديقه وحبيبه جون .. الضابط الانجليزى الذى ما جاء الى أيرلندا الا لقتل أهلها وسلب حرياتهم .. ولعل هذا الموقف الجديد هو السر فى محافظة جون على كلمة الشرف التى بذلها لأوربورذن .. ولعله أيضا هو السر فى أن يترك أسير انجليزى فى حراسة ضابط أيرلندى أعمى وهو ينعم بكل هذه الحرية .. يحب ويحمل بندقية يدخل بها وبحبييته ويخرج كما يشاء .. ويصيد الأرناب فى الريف المجاور كما يهوى ..

ويضطرب تولى صاحب القصر .. الرجل الانجليزى وصاحب الأعمال والذى يمثل الاستعمار فى المسرحية حين يرى نفسه أمام هذه الألفاظ كلها ، ويصارع أوربورذن بأنه • بوصفه انجليزيا — لا يمكن أن يوافق على هذا .. لا يسكن أن يرى ضابطا بريطانيا فى أسر جماعة من الأعداء .. وهو مع

ذاك يسكن قصره ، ثم لا يبلغ أولى الأمر في لندن .. انه اذا
تقاضى عن ذلك عد خائنا لبلاده . ولكن أوربورتن يطمننه
ساخرا .. انه يقول له : انه يستطيع أن يسقط المسؤولية عن نفسه
بتبليغ أولى الأمر في لندن بالفعل .. وسيرى أن أولى الأمر
لن يحركوا ساكنا الا أن يرسلوا بحثة جنودهم من لفظتهم
سجونهم من المجرمين والأشقياء — مثل جنود البلاك والتان —
ليجربوا دناءاتهم في الأيرلنديين الذين يعرفون كيف يقتلونهم
هم أيضا . ويشعر توللى بحرج مركزه بين هذه المآزق الكثيرة ..
انه انجليزى يملك قصرا في بلاد نائرة .. وهو انجليزى وكتلّ
أيرلنديا أعمى من جنود جيش التحرير لادارة أملاكه في
أيرلندا .. وهو يرى ضابطا انجليزيا مخبولا يرضى أن يكون
أسيرا لأيرلندى أعمى لا يملك من أمر هذا الضابط الانجليزى
المبتر القوى شيئا الا كلمة شرف بذلها له .. ثم هو يدو بعد
ذلك حرا طليقا لا يحاول الفرار من الأسر رغم الفرص الكثيرة
التي تمكنه من ذلك . ان توللى يمتزم العودة الى لندن من
فوره .. قبل أن يقتله الثوار .. أو قبل أن تغلبه كل هذه
المفارقات التي تحيط به فيصبح هو أيضا جنديا من جنود
جيش التحرير الأيرلندى .
ويخرج توللى ، ولا ندرى الى أين .. وتقبل موللى ..

ويدور بينها وبين ابن عمها أوريوردن حديث كله شعر ووكله
فئات صدرين مختلفين ، فنعلم أن أوريوردن كان رجلا أيام
أن كانت موللى طفلة .. ثم اذا هو قد أصبح يحب الطفلة التى
كبرت ونضجت .. لكنه بعد أن فقد بصره منذ ستة أشهر فقط
أصبح يكم أناس ذلك الحب ، ويفرح بما نشأ من حب بين
ساحرته الصغيرة الناضجة وبين أسيره جونى الذى يدخل هو
أيضا ويشارك فى الحديث .. ويقول بعد أن تذهب موللى
لاعداد الشاى انه لم يكن يتصور قط أن تصبح حياة الأسر
شيئا لذيذا سعيدا شائقا الى هذا الحد .. حياة الأسر التى
تغيرت فجأة فأصبحت جنة وارقة الللال طيبة المجتنى ! انه
يضيق ذرعا بهذا الصدام الذى يشتد بين مواطنيه وبين
الآيرلنديين .. وهو يعاهد الله ويعاهد الدنيا كلها على ألا يشارك
فى تلك المجزرة التى يقوم بها جنود التان والبلاك نيابة عن
وطنه .. وهو يخلص فى هذا اخلاصا لا يشبه عنه ما أعلنه
الانجليز من أن الذى يقبض على أوريوردن الضابط الآيرلندى
الأعمى أو على قائده الآيرلندى سين كلى S. Kelly
قله مكافأة كبيرة تغنيه حياته كلها .

أما سين كلى — هذا القائد الآيرلندى من قواد جيش
التحرير — فرجل عسكرى لا يعرف قلبه الاثناء ازاء ما تقتضيه

حرب التحرير من صرامة وجد .. ثم هو رئيس أوريوردن ، وهو يعرف ما تنطوي عليه أضالعه من الحب لموللى ابنة عمه .. لكنه يعرف أيضا ايثار أوريوردن وصدافته لچونى — أى چون تريجارتن — ويعرف أن أوريوردن لا يجبل ما بين موللى وچونى من غرام ، وأنه — أى أوريوردن — يبارك هذا الغرام ولا يحقد على چونى بسببه ، بل هو يشجعه .. وهو — أى القائد الأيرلندى كلى — فى حيرة تُشد الحيرة من أمر هؤلاء المخبولين الثلاثة : چونى وموللى وأوريوردن .. أولئك الذين زرعوا جنة من الحب وسط هذه الجحيم التى أشعلتها حرب التحرير ، وراحوا يتميدونها بالغناء والشعر ، ويمادونها بالأحلام الجميلة المعسولة ، والأخياة المجنحة التى لا صلة لها بواقع هذه المعركة التحريرية المتأججة ، وبالنوايا الطيبة التى لا يقتل مطلقا أن تسود وسط بحر العداوات الظامى ، والذي يفصل بأمواجه وأثباجه بين انجلترا الاستعمارية الپروتستنتية ، وبين أيرلندا المكافحة الكاثوليكية التى تناضل فى سبيل خلق نير العبودية الانجليزى .

ان موللى تحلم بحياة زوجية سعيدة تقضيها مع حبيبها چونى .. ولكن چونى معدود من أعداء معركة التحرير التى تخوضها بلاد موللى وتخوضها عشيرتها الأيرلندية وسط بحر

من الدماء والرصاص والعداوات .. وچونى أسير بالفعل ..
وابن عميا أوريوردن — الأعمى — هو آسره والمؤتمن عليه ..
ولكن ما قيمة هذا كله فى سبيل أن تحظى موللى بأمنيتها فى
الزواج من چونى الذى أصبح ليا كل شىء ، ولا سيما بعد أن
كره موقف بلاده من أيرلندا .. اذن .. فلا بد من فرار چونى
وفرار موللى الى انجلترا نفسها ليكون چونى هناك بأمن
من جحيم حرب التحرير فى أيرلندا ، وليستطيع هناك أن يبرم
عقدة الزواج من موللى فتتحقق بذلك سعادة قلين ، وتكمل
هناءة زوجين ، ما دام اتمام ذلك كله فى أيرلندا من رابع
المستحيلات — أهونها الاستحالة المذهبية التى تقف لهذا
الزواج بالمرصاد .

واذن .. فليكن الفرار هو خطة موللى المقررة بغية تحقيق
أمنيتها وسعادتها .

وبينما القائد الأيرلندى كلى يتحدث الى مرؤوسه وأحب
الناس اليه والبقية الباقية له من دنيا الأصدقاء والأحباء بعد
مقتل كل أصدقائه فى حرب التحرير . صديقه الحبيب الوفى
أوريوردن .. بينما هما فى حديث عن هذه الحرب والألغاز
التي تحيط بهما بسببها اذا أحد تابعى القائد يدخل ومعه أوامر
من القيادة العليا تقضى باتقاء ثلاثة من كبار الضباط الأسرى

في يدى كللى ليعدموا رميا بالرصاص ثأرا لثلاثة من القتلى
الاييرلنديين ممن أعدمهم جنود التان والبلاك المتوحشون
بلا جريرة ومن غير أى ذنب .

ويحاول أوريووردن أن يثنى عزيمة كللى عن تنفيذ تلك
الأوامر الوحشية .. وأن يراجع القيادة العليا فى شأنها .. ولكن
بلا جدوى .. فقد قتل الانجليز كثيرا من الأيرلنديين بلا جريرة
الاجريرة الدفاع عن بلادهم .. وكان فيمن قتلهم التان والبلاك
معظم أصدقاء كللى الأعزاء من الضباط وصف الضباط .. وهذه
هى فرصة كللى فى الثأر من هؤلاء المتوحشين .. زد على ذلك
أن الأوامر هى الأوامر .. وعلى هذا فليأمر كللى باجراء
القرعة .. ولتقع هذه القرعة على اسمين لضابطين من ضباط
الانجليز الأسرى .. ثم لتقع فى المرة الثالثة على : چون
تريجارتن .. صديق أوريووردن الأعز ، وأسيره الوفى .. وحبيب
موللى !

ويسقط فى يد أوريووردن .. وتظلم الدنيا فى عينيه !

* * *

وها هما ذان .. موللى وچونى .. اللذان لا يعلمان مما حدث
فى نهاية الفصل الأول شيئا .. هاهما ذان يحلمان بالسعادة
الزوجية فى ريف لندن .. وهما لذلك ينهلان من القبل عربونا

لثلاث السعادة .. وأسفان مع ذلك لأنهما لن يستطيعا اصطحاب
أوريوردن معهما الى هناك .. لكى يكون عرابا لأول طفل لهما ..
وهاهو ذا چونى ييدى أسفه على من أطلق عليهم الرصاص
من الأيرلنديين .

يلها من لحظة شاعرية بين الحبيين !

ولكن لنتركهما فى هذا الحلم لحظة حتى يلقيا تولى
صاحب القصر وأوريوردن الذى يعيش فى مناخه روحية لما تقرر
من اعدام حبيبه وسديقه چونى بناء على تلك القرعة الباغية ..
ان موللى تخبر أوريوردن بما اعتزمته هى وچونى من
الزواج .. ويهنئها تولى صاحب القصر .. لكن أوريوردن
يتقف مبهوتا وكأن البكم قد عقد لسانه فلا ينبس ولا يقول
شيئا .. وتكاد موللى تؤول ذلك بما تعرف أنه يطويه لها بين
جوانحه من الحب وهى لا تعلم ما تنطوى عليه جوانحه الآن
من غصة ولوعة !

ويطلب أوريوردن من مستر تولى صاحب القصر أن
يتفضل فيصحب موللى الى مكان ما لأنه يريد شيئا من الخلوة
الى چونى .. فاذا خلا لهما الجو رأينا أوريوردن وهو يتوسل
بكل ما يستطيعه من توسل أن يرحل چونى من ذلك المكان ..
وأن يفر بجلده من الموت .. وأن يكون فى بلفاست

— عاصمة ألستر بشمالى أيرلندا التى آثرت البقاء مع انجلترا — فى أسرع وقت .. فاذا ألح عليه چونى فى معرفة السبب ذكره له وقلبه ينفطر من اللوعة والأسى .. وهنا نرى چونى يأبى أن يفر .. لأن فراره ضار بأوريوردن ، اذ أنهم سيأخذونه به ، بالرغم مما يمكنه أن يحتج به من عماد وقلة حيلته وعجزه عن حراسته بسبب هذا العمى .

ويطول الجدل بين الصديقين ، ويصر چونى على عدم الهرب بالرغم من تذكير أوريوردن لچونى بسوللى وسعادتها ومستقبلها وأحلامها .

وتحدث فى هذه اللحظة كيسة مفاجئة من جنديين من جنود التان والبلاك الانجليز فيكادان يقتلان أوريوردن لولا أن ينقذه منهما چونى ، ويأسرهما ، وبهذا يكون چونى قد أصبح جنديا محاربا فى صفوف الأيرلنديين .. لكن كلى يدخل ، فاذا قال له أوريوردن ان چونى قد أقتد حياته من القتل سأله كلى عما اذا كان يجد نفسه أيرلنديا أجابه چونى أنه انما أقتد حياة أوريوردن .. وهذا هو كل ما حدث .. اذن فليبق كل شىء على ما هو .. وليبق اسم چونى فى قائمة المقترع عليهم بالرمدى بالرصاص .. بالرغم من انقاده حياة أوريوردن ..

وتدخل موللى فاذا هى قد علمت ما كان من أمر هذه

القرعة ، و إذا الفزع يملكها وسيطر عليها .. و إذا هي تفرع الى أوريوردن في أن يصنع المستحيل لا تقاذ جوني .. فإذا قال لها ألا سبيل للنجاة الا الهرب ، وأن جوني يأبى أن يهرب .. طار صواب موللي ، وأقنعتة بضرورة الهرب لا الى بلقاست فقط ، ولكن من أيرلندا كلها .

ويخضع جوني لمشيئة حبيته ، وينفقان على طريقة هذا الهرب ، ان موللي ستركب القطار المسافر الى بلقاست ، وسترشو السائق الذي تعرفه لكى يهدىء من سرعة القطار عند المنعطف الفلانى حيث يكون جوني متربصا .. وسوف تصفر له ثلاث صفرات يقفز عند سماعها ويركب القطار .



ان أوريوردن وجوني يدبران خطة الفرار مع أحد الحراس المخلصين لأوريوردن والذين لا يعصون له أمرا .. وكان أوريوردن يعلم أن القائد كللى سوف ينفذ اعدام الأسرى الثلاثة ومنهم جوني ، عصر يوم الجمعة .. فلماذا يا ترى رجع قبل أن يتنفس الصبح من ذ " " م ، وفي اللحظة التى جلس فيها الصديقان مطمئنين وانهم

لقد كان كللى حدد عصر اليوم . الجمعة وهو يضم صبحه لكى يوفر على صديقه أوريوردن هول ذلك الموقف الذى يرى

فيه چونى وهو مسوق الى الموت .. أما الآن فقد فشلت المفاجأة
التى كان يتتويها كلكى الذى يأمر أحد جنوده بالخروج بچونى
ليكتب وصيته ويلقى القيس البروتستنتى اذا شاء .

ثم تدور بين كلكى وبين أوريووردن محاوره طويلة لعلها
أمتع ما فى المسرحية كلها .. فهذا أوريووردن يستكر تلك اللعبة
التى أراد كلكى أن يلعبها عليه بقتل چونى قبل الموعد الذى
ضربه لذلك .. ثم هو يضرع اليه فى أن يعمل على نجاة چونى
الذى أُنقذ أوريووردن نفسه فهو يستحق النجاة .. ثم يذكره
بأن موللى تنتظر لهفانة أن تتزوج من چونى ، حاملة
أثقالا من الحب والأمل ... وأن هذا الزواج مرجو
أن يثمر أجيالا وأجيالا من الأبناء والحفدة .. فكيف
يرضى كلكى أن يقضى على كل هذا الحب وذاك الأمل ، وجميع
تلك الأجيال من الأبناء والحفدة .. وكيف ينسى أن والد چونى
ينتظره فى انجلترا .. قريبا من لندن .. ليعود اليه وليمأل بيته
سعادة ، ولتتزوج ، وليصل ذريته ، وليكون له قره عين .

ويجيبه كلكى وهو أسه ان .. مهن بأنها الحرب .. وأن
أوريووردن قد اشترك فى .. بيرة مع كلكى .. وأنه كان
يراه وهو يتصوب بندقية أو مدفعه الى صدور الأعداء
ليقتلهم .. غير ذاكر أنهم آمال آباء وأمهات وأبناء فيرديهم

في غمضة عين ، وأنه كان يفعل ذلك مأمورا كما أن هؤلاء القتلى كانوا يسعون الى حتوفهم مأمورين .

ولكن أوريوردن يمضى في توسله .. ضارعا الى كللى أن يفرض أنه جاء متأخرا نصف ساعة .. نصف ساعة فقط .. لأن جونى كان على وشك أن يهرب قبل مضى دقائق قليلة .. انه يرجوه أن يهبه حياة صديقه وسعادة موللى .. ويقول ان هذه هى أعظم أمانيه فى الحياة بعد أن فقد بصره .. وفقد موللى بفقد بصره !

أعظم أمانيه أن يعيش جونى ليتزوج موللى .. فهذا يعدل عند أوريوردن ارتداد بصره اليه !

ويحاول كللى أن يصارح أوريوردن بأنه انما يريد الخير له بازاحة جونى من طريقه بفضل تلك القرعة التى شاعت بقضاء وقدر أن يأتى اسمه ثالث الأسماء التى أمرت القيادة العليا بقتلهم ثارا للقتلى الأيرلنديين .. وهو يحاول أن يفهم أوريوردن بأن هذا الايثار الذى تعودده ، ونسيان نفسه اذا ذكرت مصلحته ومصلحة الناس ، هما من المثل العليا التى تنبع من الظلام الذى ذهب بنور عينيه والذى يعيش فيه .

ويكاد أوريوردن أن يجن عندما يقول له كللى ذلك — ان الجدل قد طال ، والوقت يمضى .. وجونى المسكين

في الخارج يكتب وصيته .. وموللي منتظرة عند المنعطف المتفق
عليه بقلب عامر بالأمال .. فماذا يكون شأنها اذا أرسلت
الصفارات الثلاث ولم يثب چونى الى القطار .

ولكن كللى يظل عند موقفه من التصميم على قتل
چونى .. ولا تجدى ضراعات أوربوردين فتبلا .. فيثور به
وينقم عليه ، ويقسم لو أن له عينين تريان لأفرغ رصاص بندقيته
في صدر كللى .. هذا الصدر الذى خلا من الرحمة ، وأقفر
من الحنان ، ولينقذ بذلك چونى .. وينقذ سعادة جيبين
وأجيالا مرجوة من الأبناء والحفدة .

وهنا .. يعبس كللى ويكاد يبكى وينفطر ، ويتناول مسدسه
ويتقدم به نحو صديقه أوربوردين .. ثم يعطيه المسدس ،
ويصوب فوهته نحو رأسه ويرجود أن يفرغ الرصاص فيه ..
لأن موت كللى وحده هو السبيل الى نجاة چونى وفراره
وضمنان سعادته وسعادة موللى وسعادة أوربوردين .. أما أن
يخيس كللى بعهده ، ويحنث بيمينه التى أقسمها على الوفاء
لجيشه ولبلاده .. فلا .



ويدخل چونى الذى كتب وصيته ومن ورائه حارسه ..
فيعهد بمذكراته الى أوربوردين لكى يسلمها الى ...

الى من ؟.. الى مولى طبعاً .
ويشكر جونى لأوربوردين ما أتاحه له من سعادة .. ولكن
أوربوردين يبكى محطماً .. ويقول له انه حاول جهده ..
ولكن .. بلا نتيجة .

ويقود الحارس جونى الى الخارج ..
وهنا يسمع صوت القطار .. وبعد قليل تسمع الصفرات
الثلاث ..

ولكننا نسمع أيضاً الصوت الأمر بالطلاق الرصاص !



والآن وقد قدمنا لك هذه الخلاصة الخاطفة لتلك المأساة
الحزينة .. المأساة المحيرة التى كُتبت للتمثيل ولم تكتب للقراءة ،
شأن جميع المسرحيات الأيرلندية الحديثة بجميع ألوانها ..
هل رأيت كيف أنها تحمل جميع مميزات المسرحية الأيرلندية
التي لا تهتم بالموضوع بقدر اهتمامها برسم صورة لموقف وبقدر
رسمها لشخصيات عجيبة توقعك فى الحيرة التى ربما جعلتك
تهم الكاتب بالفجاجة والتميع وعدم اجادته حكمة موضوعه —
ان كان ثمة موضوع على الاطلاق !

لقد أخذ الكاتب هذه الصورة من صور حرب التحرير
الأيرلندية ، وقد كنا نتوقع أن يهز أعصابنا بأمجاد هذه الحرب

فيعطينا درسا في الوطنية ، ويقدم الينا صورة من صور المغامرة التي تحمل الينا عظة حية تنفعنا بوصفنا شركاء الأيرلنديين في مكافحة هذا الاستعمار الانجليزي الذي أرانا من مرارة العيش ألوانا .. فهل فعل الكاتب شيئا من ذلك ؟ .. أبدا .. وبقول أبدا لأن من أهم ما تتسم به المسرحية الأيرلندية الحديثة أن تنتزه عن الصبغة الارشادية وألا تتسم بأية سمة من سمات الدعاية .. فالكاتب المسرحي الأيرلندي .. أو معظم الكتاب الأيرلنديين انما يكتبون للفن الخالص ، وهم يكرهون مسرحيات الأفكار والمشكلات الاجتماعية لهذا السبب .. أما هذد الصبغة المسيحية .. أو الروح المسيحي .. روح الايثار والمحبة الذي يشيع في المسرحية كلها فأثر من نفس الكاتب بلا شك .. الكاتب الذي تأثر تأثرا عميقا بتمثيل شخصية السيد المسيح كما قدمنا .

وقد يتبادر الى أذهان بعضنا أن جوزيف أوكثور لم يسلم في مسرحيته هذه من هدف كان يسعى اليه .. هو الدعاية الى وجوب تقريب شقة الخلف بين الانجليز وبين الأيرلنديين بهذه المحبة التي عقد أواصرها بين جونى الانجليزي وبين أوريوردن الأيرلندي .. ثم بهذا الغرام الذي أشعل نارده في قلب موللى الأيرلندية وجوانج جونى الانجليزي .. ثم بتحاشيه أن يسس

مستر توللى الانجليزى وصاحب القصر الأيرلندى بأذى ..
ثم بعبارات السلام وأغانى المحبة البشرية التى أرسلها مرارا
على لسان أوريوردن ، وقد يقوى هذا الزعم أن المسرحية مثلت
فى انجلترا قبل أن تمثل فى أيرلندا .. أى أن الكاتب الأيرلندى
كان يكتب لجمهور من الانجليز .. ولهذا كان لزاما عليه أن
يراعى ذلك .. وأن يذكر أن الشعب الانجليزى كله يحبه ويقدر
شخصه من يوم أن مثل له شخصية السيد المسيح .

هذا رأى لا يستقيم واصرار كلى على اعدام چونى فى
آخر المسرحية .. ثم تنفيذ هذا الاعدام .

ان المسرحية تفيض بالرموز والمجازات والاشارات الغامضة ،
وبها مسحة من التصوف الذى تشتهر به كثرة من المسرحيات
الأيرلندية ، ثم هى كمعظم هذه المسرحيات روضة من الشعر
المشور وألوان البطونة التى ينتصر فيها الأبطال على أنفسهم .

انها بارقة أمل على أن من الكتاب الأيرلنديين من يستطيع
أن يخلف بيتس وليدى جريجورى وسينج وسين أو كاسى ..
أولئك الذين نرجو أن تترجم مسرحياتهم أو بعض مسرحياتهم
فى القريب العاجل .

وبالمسرحية طائفة من الأغانى التى يتغناها أوريوردن ..
أغان اقتبسها المؤلف من بيتس وتسمترتون وبادريك كولم.

P. Colum كنا نفضل لو ترجمت الى شعر عربي غنائى لأن
ترجمة الشعر الأجنبى الغنائى الى نثر عربي لا جدوى منها حينما
تقدم المسرحية الى الجمهور العربى على خشبة المسرح .. والقول
بامكان حذف هذه الأغاني عندما تمثل المسرحية قول مردود لأن
هذا الحذف يفقد المسرحية روحها بل طابعها الذى تتميز به
المسرحيات الأيرلندية .. فالمسرحية لا تقدم موضوعا بل تصور
موقفا مشحونا بجو من الفداء والموسيقى الروحية والشعر
المتعدد الألوان ، ومن هنا هذا البطء .. أو ذاك التفكك الذى
يحس به القارئ أحيانا والذى يتلشى فوق خشبة المسرح ،
وهذه ملاحظة مهمة أحببنا أن نلفت اليها نظر القارئ حتى
يحين حين تمثيل المسرحية ، حتى لا يتهم المسرحية بالتفاهة
مثلا أو بشطط المؤلف أحيانا أو بما يشبه الخروج عن الموضوع
أو الشرود أو عدم تناسك الاطار المسرحى .

وقد يقول البعض بإمكان التغنى بهذه الأغاني منثورة ..
وهذه تجربة أثبتت السوابق أنها تجربة ساقطة لأنها تسيب
الجو الفنى للمسرحية بالنشوز وتثير السخط والاستهزاء فى
نفوس المتفرجين .

دوينى خشبة

شخصيات المسرحية

بيتر توللى Peter Tolly : انجليزى له أملاك فى أيرلندا

شاموس Shamus : تابعه

ميكل أوريوردن M. O'Riordon : موظف لدى بيتر توللى

وضابط فى جيش المقاومة الأيرلندى

موللى كنزيللا Molly Kinsella : ابنة عم ميكل

كابتن جون تريجارثن J. Tregarthen : ضابط فى الجيش البريطانى

وأسير تحت حراسة ميكل

سين كللى* Sean Kelly : ضابط عظيم فى جيش المقاومة الأيرلندى

سكانلون Scanton : مساعده

الجندى الأول من جنود الثانى

الجندى الثانى من جنود الثانى

ديرموت Dermot : حارس فى جيش المقاومة الأيرلندى

فيليم Phelim : حارس فى جيش المقاومة الأيرلندى

المنظر

قاعة الجلوس في قصر ريفي ايرلندي يملكه بيتر توللي الانجليزي

الزمن

ابريل سنة ١٩٢٠

الفصل الاول : الصباح

الفصل الثاني : عصر اليوم نفسه

الفصل الثالث : صباح اليوم التالي الساعة الخامسة والنصف

تقريبا

الفصل الأول

قاعة الجلوس هي قصر ريفي أيرلندي يملكه انجليزى اسمه
بيتر توللي الذي ورث نروة عن مهندس للشئون الصحية . تبدو على
القاعة مظاهر العظمة الدارسة ، فالشمعدانات الفضية والمسارح
القديمة والزجاج النفيس ، كلها في حاجة الى الاصلاح . يؤدي
باب الى طريق المركبات والارض المحيطة بالقصر . يبدو السلم
ظاهراً للعيان . تغطى النوافذ الطويلة الستائر السميقة ولهذا يبدو
المسرح معتما رغم أن ضوء النهار قد بدأ ينعد إليه .

(في محدع مرتفع ليس على مرأى من السلم يجلس ميكال
أوريوردن وجهه بعيداً عن جمهور النظارة وقد أصابه العمى منذ عهد
قريب . يسمع عن بعد قطار يصفر ثلاث مرات)

توللي : (نازلاً السلم) قلت لك ذلك . ها قد وصل
القطار .

شاموس : لا تكن قلنا الآن . ألم أخبر « تيم » في المحطة
بأنك قادم ؟ سوف ينتظر . وحتى لو لم أخبره
فستجده يروى القصص والأساطير مع سائق
القطار « دان » لمدة ساعة من الآن .

توللى

: حنا ، فلنسرع ، اذا سحت . يجب على أن
أكون فى لندن غدا .

شاموس

: (وهو يتحرك بمتهى البطء) الوقت كاف
يا سيدى ، أمامنا متسع من الوقت فالحياة كما
تعلم ، يجب أن نقضيها كما لو كانت رقصة
بطيئة . هذه هى الطقوس المرعية والأصول
المتبعة ، فانك لن تتوقع من الآب « أسيلقان » أن
يسرع فى تسلق درجات السلم حتى يصل الى
المذبح ، أليس كذلك ؟ (يلقى بالحقائب فجأذ
الى أسفل السلم ويستدير ليصعد درجات
السلم) ولنفرض الآن أن هذه الدرجات التى
تراها هنا هى التى تؤدى الى المذبح ؛ فعليك
أن تستدير ببطء وأن ترفع قدمك بعناية وفق
الطقوس الدينية كما لو كنت عملاقا يعبر جسرا
مرتفعا .

توللى

: أرجو أن تستخدم خيالك بأى طريقة أخرى
تضمن لك السرعة . والحقيقة انك لم ترفع
الستائر بعد مع أن الساعة قد جاوزت العاشرة ،
ففى أى شىء كنت تشغل نفسك حتى الآن ؟

شاموس : حسنا يا سيدى لقد امتيقظت فى الساعة السادسة والنصف ، فى الوقت الذى بدأت فيه أشعة الشمس تنفذ خلال الستائر ، ثم توجهت أولا الى ...

توللى : حسنا ، حسنا ، يؤسفنى أنى سألتك ! سأفتح الستائر بنفسى (يفتح الستائر) سيظن الناس أن أحدا قد مات . (تستمع لملقتان من بعيد) آه ، يا للسماء ، أرجو ألا تكون هناك متاعب جديدة .

شاموس : لو أنك أصغيت فى تمهل بكلكا أذنيك لأدركت أنه لا يمكن أن تكون هناك متاعب . انها مجرد بندقية صغيرة من عيار اثنين وعشرين لصيد الأرناب وليست بندقية كبيرة من عيار ثلاثمائة وثلاثة لصيد الأنجليز — ان الله يحبك يا سيدى ، لقد نيت انك أنت نفسك انجليزى . ولكن ، ليس هناك الآن سوء نية أبدا .

توللى : من أجل الهدوء والسلام وحدهما اشتريت هذا المنزل وهنا أنت الآن لا يمكنك أن تظل برأسك

من أحد النوافذ دون أن يطلق عليك الرصاص .
شاموس : ان الأرانب وحدها هي التي في خطر الآن
يا سيدى ولهذا فأنت في أمان (بسرعة)
لا عجب أن يكون هذا هو « الكابتن » جونى
الشاب ومعه الأنسة « موللى » ، فكثيرا
ما يخرجان معا للصيد هذه الأيام .

توللى : أرجو أن يتفضل أحدكم فيخبرنى قبل أن
أرحل ، من يكون هذا « الكابتن » جونى وما
الذى يفعله هنا ، لقد عدت لقضاء بضعة أيام
فوجدت بيتى يغزوه الأهالى بينادقهم وهذا
« الكابتن » الغريب الضابط بالجيش البريطانى
يقضى وقته فى صيد الأرانب . انى لا أفهم كل
هذا .

شاموس : آه ، ان كلمة « أهالى » لكلمة فظيعة تحط من
القدر عندما تطلقها على الرجل الأيرلندى .

توللى : كلنا أهالى ، أولاد بلد ، وهذه ضريبة على كل
من يولد .

شاموس : هل هذا ما قصدت ؟ ولكن ألم يقل لك المستر
« ميكل » شيئا عن الكابتن « جونى » ؟

توللى : انى لم أتبادل مع أوريوردن كلمتين اثنتين منذ أن جئت ، انه ليس هنا باستمرار . لقد استخدم الرجل ليدير لى أملاكى فاذا به يتصرف كما لو كان البيت ملكا خاصا له ويخيل الى ان من يثرون الفوضى والضجيج فى طرقات القصر هم أصدقاؤه . ترى أين هو الآن ؟ يجب أن أتحدث اليه قبل أن أذهب .

أوريوردن : (من المقعد دى المسنين) بالله عليك ، هل أنت أعمى مثلى ؟

توللى : أوه يا عزيزى لقد أفرغتنى . حسنا ، انك هنا على أية حال . شاموس أين مكّ والعربة ؟ يمكنك وضع هذه الحقائق على ظهر العربة .

شاموس : ان مكّ مريض ، سأذهب لأعد العربة بنفسى .

توللى : مريض ! والعربة لم تعد بعد ! اذن فلن نلحق هذا القطار

شاموس : بل سنلحقه يا سيدى ، لعلهم يلعبون «البوكر» فى المحطة الآن

(بخرج)

توللى : حسنا ، يا أوريوردن ... ؟

اوربوردن : حسنا ، أيها العزيز تولى ؛

تولى : انى لأرجو قبل أن أسافر أن أحظى منك ببعض
الإيضاحات .

اوربوردن : عن أى شىء ؟

تولى : عن السبب الذى من أجله قد قلبت بيتى هذا

الى ثكنة للجنود ، ومن هم هؤلاء الرجال الذين
يدخلون ممتلكاتى ويخرجون منها ، ومن هو
هذا الكابتن الانجليزى الغامض ؟ هل آمل فى
أن تلقى بعض الضوء على كل ذلك ؟

اوربوردن : أترجو منى أن ألقى بعض الضوء ؟ انك لتطلب

منى الشىء الكثير ، ولكنى سأجيب على
أسئلتك . فأولا ان الكابتن جون تريجارثن
ضابط فى الجيش البريطانى وهو أسيرى .

تولى : أسيرك ... ؟

اوربوردن : لقد أسر قرب دبلن منذ ثلاثة شهور وأرسل

الى هنا ليقبى فى حراستى ، ولأسباب يجب أن
تكون واضحة ، حتى لك ، ان أستطيع مراقبته،
كما أنه ليس لدينا فائض من الرجال لتقييمهم
على حراسته . ولذلك أبقيته أسير كلمة شرف

منه بالأية هرب ، وها هو في هذه اللحظة يصطاد الأرناب .

تولى : أوه ، لقد فهمت .

أوريوردن : يا لك من محظوظ !

تولى : ولكن هناك حقيقة واحدة يظهر أنها قد فاتتكَ

يا أوريوردن .. ان هذا بيتي وأنت في خدمتي وأنا الذى أدفع لك أجرك ، ولذلك فأنا وحدى الذى أقرر من يأتى الى هنا ومن لا يأتى ، وأكثر من ذلك فأنا رجل انجليزى ولن أسمح بأن يبقى ضابط فى الجيش البريطانى فى الأسر هنا . انهم لو علموا بذلك فى لندن لالتقوا القبض على ... وربما اعتبروني خائنا . لم لا تفكر فى الآخرين كنوع من التغيير ؟

أوريوردن : كيف عن التحدث الى نفسك يا ولدى تولى ،

وفى مقدورك أن تخبر رجال الشرطة فى لندن — ان أردت — أن الجيش الأيرلندى قد استولى على بيتك ، فما أظن أنهم سيعيرونك أى اهتمام . وفى مقدورك أن تخبر الكابتن تريجارثن — اذا كان ذلك يهيك — أنه حر فى أن يذهب حيث يشاء ، فلست أظن انه سوف

يعيرك أدنى اهتمام ، وهأنذا الآن لا أعيرك
أى اهتمام أيضا . انه عالم قليل الاكتراث
يا توللى وهذه حقيقة لا كذب فيها

توللى : انى صابر جدا حتى الآن

أوريوردن : انك توللى الصبور ...

توللى : لا يمكن لأحد أن يقول انى لم اكن صبورا ،

أيمكنك أنت ؟ ولكن ذلك يجب أن يقف عند
حد . لست بسياسى انما أنا مجرد رجل أعمال ،
ولقد أغمضت عينى على الشئ الكثير وكنت
أنوقع منك ، على الأقل ، أن تكون مؤدبا .
ويظهر أنك نسيب أننى قادر على أن أطردك ،
ويجب عليك ألا تظن أنه لمجرد أنك ...

أوريوردن : كفى ، كفى ولا تلق بدريهمات شفقتك فى قبعة

الرجل الاعمى ، فأنت لم تستبقنى لأنك ترى
لحالى وانما استبقيتنى لأنى أقوم بالعمل هنا
من أجلك على الوجه الأكمل . انى أدير لك
مزرعتك الصغيرة بكفاءة تامة وأوفر لك فيها
الراحة والهناءة لتهرع اليها وتقضى فيها وقتا

هادئا كلما سئمت نفسك بيع أوانى الفسيل
لبلاد العالم .

توللى : لا داعى للاستهزاء فعملى ضرورى جدا .

أوربوردين : أجل ، أجل فانت شخص تهتم بالشئون الصحية
وليس من أحد ينكر ذلك بل وربما كان هذا
هو سبب ما تشمر به من أن مقامك ليس هنا
بيننا . هل تدرى ما يجرى الآن فى ايرلندا ؟
ان حكومتك الكريمة قد أرسلت الى هنا حثالة
مساجينكم مدججين بالسلاح ليفتكوا
بالايرلنديين أمثالى . ألم تسمع أبدا عن جنود
التان والبلاك ؟ أم لعل الصحف الانجليزية قد
خجلت من أن تذكر شيئا عنهم ؟ انهم هم السادة
الذين أوقعوا بفرقتى فى كمين منذ ستة شهور
مضت ومنذ ذلك الحين لم يعد يهمنى أى اتجاه
أواجه فى غرفتى حيث أصبحت لا أجد لى منفذا
فى أى مكان . لهذا أستسمحك العذر يا ولدى
توللى ان أنا لم أظهر أى عطف عندما اعترضت
على وجود أصدقائى هنا ، انى أعرف انه بيتك
ولكنه أيضا مقر مريح للقيادة ولهذا سنبقى هنا

توللى : ولكن الى متى سيستمر ذلك ؟ يجب أن تدرك

ما فى هذا من احراج لى انى لأعطف بالطبع على...

أوريوردن : حسنا ، أشكر لك هذا العطف ، وأظن أن ذلك

سيستمر حتى تصبح أيرلندا مستقلة وحينئذ

فالله وحده يعلم ما نحن فاعلون بأنفسنا ! وإذا

كان يساعدك ذلك فأنى أؤكد لك أن المسئولين

البريطانيين الذين قابلتهم ليشعرون بنفس

السخط على جنود التان كما نشعر نحن ،

وها هو الكابتن جونى يحسق على الأرض كلما

ذكر اسمهم أمامه .

توللى : حسنا ، انى لا أفهم ذلك ، وأكثر من هذا ، انى

لا أحاول أن أفهم ، ولا يمكننى الانتظار حتى

أعود الى لندن . كم أنا آسف لأنى أتيت .

أوريوردن : لا تصدق نفسك يا رجل ، فأناك عندما تعود

ثانية الى لندن سوف تمخر بالفترة التى قضيتها

هنا (تسمع طلقة من بعيد) لا تقلق ، انها

الأرانب . أنظر من النافذة الآن ولجربنى ان

كنت ترى رجلا ضخما فى الطرقة الخارجية

يتحدث الى صبي ذى شعر أسود

تولى

: (ناظرًا من النافذة) أجل كلاهما هناك .

أوريوردن

: حسنا . ان الرجل الضخم هو سين كللى . انه

وصل الآن فقط . لقد حارب الألمان في منز

Mons حيث جرح وسرح من الجيش ، ثم جاء

الى دبلن وقاتل معى ضد الانجليز في ثورة عيد

القمح سنة ١٩١٦ ، وقد حكم عليه بالاعدام

ولكنه أتخذ ليعود ثانية كى يحارب في فرنسا

ثم انتهى به الأمر الى القتال مع الجيش

البريطانى ضد الروس . وها هو الآن قد عاد

ثانية الى أيرلندا . انه من أعظم الجنود وأغناهم

بل هو نسر نادر الوجود . وعندما يتقدم بك

العمر يا تولى يا ولدى ، ويلتف حولك الأحفاد

-- ان أسعدك الحظ وكان لك أحفاد، يتجمعون

حول ركبتك — ستجد في رأسك الجلدية

المجوز ذكريات ذهبية ، ويمكنك أن تتحدث

اليهم قائلا : أيها الأحفاد لقد نزل سين كللى

نفسه في قصرى الريفى في أيرلندا وستحدث

الأحفاد قائلين : « ان جدنا قد لا يبدو ذا أهمية

الآن ولكنه ، وحق الله ، كان في صباه يعاسب

الشجعان ! »

توللى : كلا ، فلن يحسبني أحد بطلا حتى أحفادي -
ولكى أثبت لك صحة نظريتي ، ها أنا أغادر
أيرلندا على عجل ، وأشكر الله لأنى لست بعيدا
عن الحدود ، وعندما أصل بلفاست سوف
أتنفس الصعداء .

أوربوردين : وهنا نخلف ، فعندما أصل الى بلفاست سوف
أكف عن التنفس .

شاموس : (يدخل شاموس) هاأنذا يا سيدى وقد ضريت
الرقم القياسى فى سرعة اعداد العربية سنجد
« تم » مستبقيا القطار فى المحطة فلا تفرق .

توللى : انى لا أثق فى « تم » لعله مخمور الآن

شاموس : حسنا ياسيدى هذا ما يجب أن يكون . ولكن
فى عصرنا الحاضر ، كما تعلم ، يجب أن نعود
أنفسنا على كل شىء ، فعندما يزورنى « تم »
يتوقع أن يجدنى مشغولا فى انجاز أعمالك ،
وعندما أزوره فانى أتوقع أيضا أن أجده ساكنا
لا ييدى حراكا .

(يخرج شاموس ومعه الحقائب)

توللى : (هازآ يد أوريوردن) أستودعك الله
يا أوريوردن .

(تدخل موللي كزيبلا)

موللى : أهلا ، مستر توللى ، أمسافر أنت هكذا سريعا ؟

توللى : أجل . ولن يمكننى القول بأنى آسف لذلك ،

لقد آتيت الى هنا أنشد السلام والهدوء .

موللى : يا نغرابة ما فعلت !

توللى : وعلى الآن أن أسرع بالفر قبل أن أنقلب على

يد أبن عمك وأجد نفسى أقاتل من أجل أيرلندا.

موللى : هذه فكرة طيبة يا سيد توللى . سأعلمك الرماية

بنفسى .

توللى : استودعكما الله ! (يخرج)

شاموس : (من الخارج) : ان الجواد ليضرب الأرض

بحافره يا سيدى وكل شىء جاهز للرحيل .

توللى : (من الخارج) هل هذه العربية مأمونة الجانب ؟

موللى : يا لتوللى المسكين ، انه بقبعته المستديرة ومظلاته

لم يكن يعلم ما سوف يلاقه . كان علينا أن

نطلق الرصاص على قبعته حتى يمكنه أن يريها

لزيائنه عندما يصل الى وطنه .

أوريوردن : لم يفت الوقت بعد . حاولي أن تطلقي على
قبته الرصاص من الباب .

موللي : كلا ، لقد قاسى ما فيه الكفاية ومع ذلك فقد
لا يصل المحطة حيا . ان شاموس يسوق العربّة
بسرعة مخيفة .

أوريوردن : ان توللي رجل طيب ولكنه دائما يستثيرني فما
أكاد أسع صوته حتى أبحث عن أقرب اهانة
لأوجهها له .

موللي : أما أنا فأشعر بغباوتي كلما رأيته حيث تبادل
هذه الكلمات : صباح الخير يا موللي ، صباح
الخير يا توللي . كما لو كنا تتحدى بعضنا
بشكل قبيح .

أوريوردن : أنه ليسكننا أن نصوغ من هذه الكلمات قصة
غنائية « طنانة »

موللي : ويمكنك أن تغنيها له عندما يأتي ثانية الى
أيرلندا .

أوريوردن : سأعد الغناء من الآن (يبدأ في تجربة الغناء)

تقابل توللي مع موللي ذات يوم في الربيع

موللي : هل أجد بعض الشاي على الموقد ؟

أوريوردن : لا بد أن يكون شاموس قد ترك بعضاً منه .
(تخرج موللي)

أوريوردن : (يفنى) يقول توللي محدثاً موللي ، انتى ملك
المنطقات ، يدهشنى ألا يسميه أحد باسم العماد
أى باسمه الأول

موللي : (من الخارج) من ؟

أوريوردن : توللي .

موللي : لعله لم يعمد .

أوريوردن : بل لعل اسم العماد أسوأ من لقبه . كان الله فى
عونه (يفنى) ... (تقول موللي محدثة توللي ،
ألا تتركينى وشأنى ؟)

موللي : (قادمة) هل تريد قدحاً من الشاى ؟

أوريوردن : أجل ، أشكرك . (يفنى) ... (ان مكان الملك
هو الجلوس على العرش ...) آسف يا موللي ،
أين كنت هذا الصباح ؟

موللي : خرجت للنزهة على ظهر الجواد

أوريوردن : وهل كنت بمفردك ؟ لِم لم تخيرينى ؟ كنت
أحب أن أركب الخيل معك .

- مولي** : ان الجواد « رورى » قد أصابه العرج وانى
لاعرف أنك تفضل ركوبه هذه الأيام .
- أوريوردن** : كنت بالتأكيد سأخاطر بركوب أى جواد آخر ،
فماذا يهم ذلك ؟
- مولي** : على أى حال لقد جاء جونى معى فلم أكن
وحيدة .
- أوريوردن** : خيل الى انى سمعته يعطاد الأرانب فى
الخارج .
- مولي** : لقد كنا معا ، نحاول صيد الأرانب من فوق
ظهور الجياد فأن فى ذلك بعض التغيير كما أنه
أدعى للمرح .
- أوريوردن** : كان الله فى عونكما . هل اصطدتما شيئا ؟
- مولي** : لم نصطد أرانب ولكنى أصبت شجرة .
- أوريوردن** : أين جونى الآن ؟
- مولي** : انه يعنى بالخيل ولن يغيب .
- أوريوردن** : أتعلمين اننى كثيرا ما ألوم نفسى بشدة فى بعض
الأحيان وأقول لها انه سجينى . ولست أدرى
لِم لا أستطيع حتى مجرد تصديق ذلك . لم
يعد العالم الذى فى خاطرى هو العالم نفسه

الذى كان قبلا . انى أقيسه الآن بمعايير أخرى
مختلفة تماما ، فبعض الناس والأشياء تبدو لى
أكثر جمالا من ذى قبل وانى لأتساءل : هل
جونى ضابط بريطانى أم هو مجرد صديق عزيز
أهداه الله لى ليعوضنى عما أنا فيه من عمى ؟
أى الشخصين هو ؟

مولى : كلاهما .

أوربورتن : أجل ، ولعلك تعلمين انى طالما تساءلت كيف
يبدو شكله . انه أول صديق لى منذ — هذه
السهور السنة الأخيرة — وانى لأعجب الآن
هل يبدو جيلا كما أتصوره فى خاطرى ؟
صفيه لى ، ها .

مولى : كلا . كلا ، يا ميكى لن أصفه لك .

أوربورتن : ها صفيه لى ، فكلاهما يشعر دائما بالميل نحو
الأشخاص أنفسهم ، وسوف يجىء وصفك
مطابقا للصورة التى أراه عليها .

مولى : ان صورته فى ذهنك جميلة ، تكاد تشبه صورته
فى الحياة .

أوريوردن : أصحيح ؟ هذا جميل ولكنه يبدو غريبا على كل حال . انى لأحتفظ بصور باقى الأصدقاء فى رضى كما لو كانت صورا معلقة فى متحف داخل برج مظلم . ولكن جوفى صوت يدوى فى الخارج أو وقع قدم تقترب منى أو معلقة بندقية تسع من بعيد .

موللى : حنا . جميل أن أعلم انك تحبه . لو أن كل عدو كان مثلك يا ميكل لما استمرت هذه الحرب القديمة حتى الآن ؟ هل ترغب فى قدح آخر من الشاى ؟

أوريوردن : كلا . أشكرك وأرجو يا بنتى أن تدركى أنك حنة الحظ جدا ، فستبقين فى ذهنى والى الأبد شابة جميلة كما أنت الآن ، فى هذا اليوم من أيام شهر ابريل . ان كل صديق لى يحيا فى مخيلتى .

أليست هذه هدية جميلة لك فى عيد ميلادك القادم ؟

موللى : وهل يجب أن أنتظر حتى ذلك اليوم ؟ ألا يمكننى الحصول على هديتى الآن ؟

أوريوردن : تقصدين هدية عادية ، لا هدية عيد الميلاد .
مولي : هو كذلك . أتذكر كم أعطيتني من هدايا كثيرة
عندما كنت طفلة لا أقوى على الانتظار لمدة عام
بأكمله ؟

أوريوردن : أذكر ذلك حقيقة ، ولكني ما كنت أهتم . لا شك
ان في الأخذ والعطاء متعة كبرى ، حسنا . هذه
هي هديتك ... شباب دائم .

مولي : أشكرك أيها السيد الكريم .
أوريوردن : انه لمن المؤسف حقا أن تبدو أكثر جمالا كلما
قل النور من حولنا .

مولي : كفى ذلك الآن .
أوريوردن : كلا ، ففي ضوء الشمس يبدو أكثرنا جمالا
شاحب اللون هزيلا . وفي ضوء الشموع تبدو
على شيء من الفتنة ، أما في ضوء الظلام الذي
أعيش فيه الآن فنبدو في بهاء الآلهة نفسها . ماذا
فهمت من كل ذلك ؟ تفضلني بحل هذا اللغز
من أجلي .

مولي : على هذا ، يا ميكل ، أعتبر كل فتاة تقابلها
من الآلهة ؟

أوريوردن : كلا والله ، فان دهنى ليحفظ أيضا بالكثيرات
عن الشيطانات . والواقع ان صدقائى هم فقط
أصحاب الحظ الحسن .

مولى : ولكن ألا تعتقد أن الحبيين يمكنهما أن يظلا
جميلين في أعين بعضهما البعض أبد الدهر ؟

أوريوردن : قد يستمر ذلك بعض الوقت ولكنهما لن يظلا
على عماهما الى الأبد .

مولى : ميكل ، انك ساخر قاس . ابتعد عتى .

أوريوردن : ه ، كم من محب كاذب تصدقه حبيته حينما
يصب في أذنيهها هذه الكلمات :
« سنظلين جميلة في عيني أبد الدهر كما أنت
جميلة الآن » ، فيخلق به الأمل والخيال الى
الملائم تهبط فجأة الى عالم الحقيقة والواقع .

مولى : متى يجتمع شمل شخصيتك المزوجة ؟ انك
لتقدم لى النصيحة الساخرة المريرة بيد وتمطينى
الشباب الدائم باليد الأخرى . هيا واستقر على
رأى ثابت .

أوريوردن : انى لا أسمح أبدا ليدى اليمنى أن تعرف
ما تعطيه يدى اليسرى .

مولى : سيات عندى ذلك فلن يصرفنى ذلك عن الوقوع
فى الحب

أوريوردن : اتمنى ألا تقمى فى الحب .

مولى : حتى حب أخى الكبير الوحيد !

أوريوردن : أقسم بالله انى لست بأخيك ولم أكن كذلك
يوما ما .

مولى : أبدا ؟

أوريوردن : حسنا ربما كنت أخاك مرة ، ولكنى لست كذلك
الآن .

مولى : لذلك فأنت الآن تبعد عنى .

(تسمع جوى يقترب فنجرى مسرعة نحو
الباب ولهذا لا تسمع كلمات أوريوردن التالية)

أوريوردن : انى لا أبعد عنك يا مولى بل ... أقرب منك .
أنا ...

مولى : ها هو جوى قد حضر أخيرا . مرحبا بك

(يدخل جوى)

جوى : مرحبا بك . مرحبا يا ميكل . انه ليوم من أيام

الربيع النادرة ، كم تمنيت لو خرجت للنزهة
معنا .

اوربوردن : هل بلغ بكما العطف على عالم الأرانب حسدا
جعلكما تحاولان صيدها من فوق فتهور الجياد ؟
جونى : لقد ظننا أن في ذلك متعة أكثر .

اوربوردن : حاولا صيدها في المرة القادمة — بالسهم
والأقواس وسوف لا نأكل الفطائر بالأرانب
أبدا .

جونى : هذه فكرة لا بأس بها ، فأنى أكره هذا النوع
من الفطائر أشد الكره .

اوربوردن : تكرمه جدا . كان الله في عوننا . وتقول انا
لا نعنى ما نقول !

جونى : هل أجد شيئا من الشاي فوق الموقد ؟

موللى : سأعد لك بعض الشاي الطازج ، فقد لا تستسيغ
طعم هذا الشاي .

جونى : كلا ، كلا ، أرجوك . لقد بدأت أحب الشاي
الذى يعده شاموس .

موللى : ولكننا مشهورون بكرم الضيافة في هذه البلاد
حتى تجاه أصدقائنا .

(تخرج موللى)

جونى : فى الواقع ، يا ميكل ، لم أكن أتصور أبدا أن حياة السجن ستكون سارة لهذه الدرجة .

أوريوردن : لست أظن أنها كذلك فى العادة ولم أجد مثل هذا الاكرام عندما كنت أسيرا عام ١٩١٦ ورغم ذلك فإن لم تكن رفقاء بأعدائنا فكيف يتسنى لنا أن نشفق على أصدقائنا ؟

جونى : كيف يمكن أن يكون هذا بربك ؟ من السخف أن أقول ذلك ، كما تعلم ، ولكن هذه الأشهر الثلاثة كانت أسعد أيام حياتى والفضل فى ذلك لك ولموللى انى لأرقد فى فراشى وأبارك هذا الشاب الفظ الذى لصق ماسورة بندقيته الباردة خلف رقبتى فى تلك الليلة الشتوية منذ ثلاثة أشهر . لقد كان فى الواقع ملاكا فتح لى أبواب جنة لم أكن أحلم بها وقادنى الى السجن والحرية !

أوريوردن : كل منا سجين يا جونى بطريقة أو بأخرى فأنا سجين الظلام وكلنا سجناء الجسد ، ألسنا كذلك ؟ وحتى اذا هربنا من الجسد الى العقل فسنجد أنفسنا سجناء فلسفة سيكة الأسوار .

وان نحن هربنا من الحياة نفسها فسجدت نفسها
خلف قضبان الأبدية العالية . ان هذا الوجود
لسجن مخيف ! ولكننا مادما نستطيع أن نفنى
فى أرقامنا فسنبكون سعداء ، فعلام القلق اذن ؟

جونى

: انى لا أحس بالقلق يا ميكل الا فى فترات تتناوب
بين الحين والحين فهذا التصادم مع جنود النازى
فى الأسبوع الماضى قد سبب لى بعض القلق
والمشغولية . ولست أدرى هل يبدو لى هذا
القلق غير حقيقى ، أم أن سعادتى هنا هى غير
الحقيقية ؟ على أية حال يظهر لى أن هذين
العالمين مختلفين أشد الاختلاف وأن التصادم
كان مدمرا كأن كوكبين قد تصادما وها نحن
الآن قد عدنا الى ما كنا فيه ثانية فهل نتوقع
حدوث قتال وصدام آخر ؟

اوريوودن

: لعلك تعلم تماما يا جونى انى لا أستطيع مناقشة
الأسرار الحربية معك رغم انى لا أعلم السبب
فى ذلك . فان حدث قتال هنا فى أرضنا فأى
جانب ستتخذ ؟ ليس جانب جنود النازى على
ما أعتقد .

- جونى** : كلا ، لن أقاتل معهم .
- أوريوردن** : تقول كلا ، ومع ذلك فلا زلت تعتبر من الواجهة الرسمية — كما يقول سكانلون — جنديا سابقا للدماء . سفاحا في ثياب الجنديية .
- جونى** : استخلفك بالله من هو سكانلون هذا ؟
- أوريوردن** : هو مساعد سين كللى . لقد وصلا الليلة الماضية . ولن تستطيع حمله على أن يجبك فهو يقول دائما : « هل يمكن أن يخرج من انجلترا شىء صالح ؟ »
- جونى** : هذه اهانة له ولى . أليس هذا هو ما قاله القريسيون ... هل يخرج من « الجليل » شىء صالح!!!
- أوريوردن** : قد يكون ذلك صحيحا ولكنكم معشر البروتستانت تعرفون الكتاب المقدس أحسن مما تفعل .
- جونى** : مهما تقل لى يا ميكل فأن سين كللى لم يأت الى هنا لقضاء اجازة . انى أدرك قيمة هذا الرجل من مقدار المكافأة التى رصدت لمن يقبض عليه

... يمكننى القول انها لتزيد حتى عن المكافأة
التي رصدت من أجلك .

اوربوردن : اذا كان فيما سأقوله لك ارضاء لفضولك
يا جونى فان ما أعرفه فى هذه اللحظة قليل
وليس بأكثر مما تعرف ، ولأنى لست من الجنود
العاملين فلماذا أحاول معرفة أكثر مما يجب ؟ هذا
ولا مانع من أن يكون عدد غير العارفين أقل
واحدا .

(تدخل موللى بالشأى)

موللى : شأى . لقد أعددتة حسب أفضل طريقة انجليزية
طبقا لتعليمات مسز بيتن .

جونى : شكرا ، وأرجو أن تكفى عن تذكيرى بأتنى
أجنبى فانى لا أحب الشعور بذلك .

موللى : سوف تفنى معنا هذه الأغنية : « لفوا العلم
الأخضر حولى أيها الأولاد » ، قبل أن تغادر
أيرلندا . انى أرى هذه اللحظة آتية يا جونى
تريجارثن ، أيها المهاجر الانجليزى .

اوربوردن : هذا شئ جميل .

مولى : كل شيء جميل هذا الصباح . أنظر الى كل هذه
الزهور التي في الحديقة (تتجه بالحديث في
لباقة طبيعية وجهة تنفق وشعور أوريووردن)
يمكنك أن تشم رائحة الزنبق من هنا . انصت
— ليس هناك طائر واحد صامت لا يعنى ، لعل
الاحساس الجليل بأن الحياة في بدايتها يغمره
كما لو كان هذا أول صباح في الوجود .

اوريووردن : قد يكون ذلك صحيحا ولعل الله قد خلق العالم ،
منذ خمس دقائق مضت ، مكتملا بالذكريات
والسجلات والحفريات . هذه نظرية جميلة ...
فتد لي هذه النظرية .

جونى : لا أرغفي ذلك يا ميكل اذ يبدو لي هذا مشابها
لأول صباح ، وأتمنى أن أصدق ذلك . لن
نناقش هذه النظرية بل دعنا نتمتع بها . ان هذا
الشئ من النوع الجيد الذى تعده والدتى .

مولى : أنسيت أن العالم قد بدأ منذ خمس دقائق ، وأن
هذا هو أول قدح من الشئ ، أو أبريق الشئ
الأصلى البدائى الأول الذى أعد طبقا لارشادات
الله سبحانه لمسز بيتن .

اوربوردن : في هذه الحالة يجب على أن تذوقه ، اذ لا يجب أن يفوتني شيء كهذا .

موللي : يجب أن نشرب كلنا ، نشرب نخب الخليفة ... هذه مناسبة سعيدة لعل الأيام تثبت وجاهة هذه الفكرة . (يشربون) .

اوربوردن : ان طعمه حلو مستساغ كطعم أول رشفة من الماء شربها آدم نفسه من الينابيع البلورية في جنة عدن !

موللي : انه رقيق ومريح كرحمة الله عندما تتدارك عجوزا في السبعين ، يموت بعد حياة مليئة بالخطايا المميئة !

جونى : يا له من شاي جيد !

موللي : أوه ، لقد اخنفت الشمس . أى سحب كثيف هذا الذى ظهر فجأة ... انه لطقس رديء يكاد يشبه طقس انجلترا .

جونى : الى حد كبير .

موللي : قد تكون هناك عاصفة توشك أن تهب .

اوربوردن : بل ربما سئم الله عز وجل هذا العالم وسينيه بعد عشر دقائق بالضبط من الآن .

(تدق الساعة الحادية عشرة)

موللى : أود ، لا تقل ذلك يا ميكل . هذه الساعة
ترعبنى ، انها الحادية عشرة أيضا ... الساعة
الحادية عشرة .

جونى : يبدو لى النهار وكأنه ليل . لقد أحاله هذا
السحاب الى غروب .

أوريوردن : اذن فلنتصرف كما لو كان المساء قد حان فسيان
الأمر عندي . هلموا نجتمع الظلال حولنا وننعم
بالراحة .

جونى : (الى موللى) تعالى هنا وتشاركينى ظلى -
(تجلس بجانبه) والآن يا ميكل ، ما دامت
هذه مسية هادئة مريحة فما رأيك فى أغنية ؟

موللى : أجل ، هيا يا ميكل ، أين قيثارتك ؟

أوريوردن : لقد تركتها بجانب النافذة تظن فى نمومة مع كل
هبة نسيم . ها هي يا بنيتى . ماذا تطلين ...
أغنية حزينة أم أغنية مرحة ؟

موللى : أوه . أغنية حزينة بالطبع ، أغنية حزينة .

جونى : أجل . دعنا نستمع الى أغنية حزينة ، وكلمنا
كانت أكثر حزنا كان ذلك أفضل .

• (بديدن أوريوردن بعض نغمات من أغنية
" سالى جاردن ")

أوريوردن : (يبنى) :

هناك ، قرب الحدائق كان لقائى معها ...
حين تقبلت ؛ حبيبتى ؛ بأقدام بضة صغيرة
تتهادى ...

نصحتنى أن أحب فى هدوء ؛ كالشجر تنمو
أوراقه رويدا رويدا ...
ولكنى ؛ كنت صغيرا طائشا فلم أوافقها على
رأيها .

فى حقل بجانب النهر وقفت واياها ...
وأملت كنتفى لتضع عليه يدها البضنة
الصغيرة ...
نصحتنى أن أعيث فى هدوء ؛ كالعشب
فوق السدود ما كان لينمو لولاها ...
ولكنى كنت صغيرا طائشا وهأنذا أذرف
الدموع الغزيرة ...

٤
١) خلال المقطع الأول تتشابه أيدي موللي
وحونى . وخلال المقطع الثانى . يظهر من بين
الطلال التى فوق السلم شبح رجل ضخم
يرقبهم)

كلى : (عقب انتهاء الأغنية)

ان عظماء أيرلندا الغالين
قد خلقهم الله مجانيين
فكل حروبهم مفرحة .
وكل أغانيهم محزنة .

أوربودن : سين ! آه ، ماذا تفعل ، تتسلل الينا كما لو كنت
اله النعمة نفسه وكما لو لم يكن لدينا من النكد
ما يكفيننا ، بينما نهاية العالم تهددنا وتهدد
الجميع .

كلى : ماذا ؟ تقولها مرة ثانية ؟ ألهذا السبب تغنى ؟
هل تغنى لترفع من روحك المعنوية فوق سطح
عالم موشك على الفرق ؟

أوربودن : ومنذ متى يحتاج الإنسان الى سبب للغناء ؟
لن أكف عن الغناء لمجرد أن الله قد حجب التور
عنى . هدد ابنة عمى ، أين أنت يا فتاتى ؟

موللى : هنا .

أوريوردن : موللى كنزيللا وكابتن جون تريجارشن ... سين
كللى .

كللى : (الى موللى) أهلا . (الى جونى) كابتن
تريجارشن !

جونى : من الجيش البريطانى .

كللى : أجل . أجل . لقد نسيت أنك هنا . (منهكما)
!لديك أية شكوى من معاملتك ؟

جونى : مطلقا .

كللى : (يتحول نظره من موللى الى جونى ومن جونى
الى موللى) لا شكوى اطلاقا !

أوريوردن : حسنا أين كنت طوال هذا الصباح يا سين ؟

كللى : أوه ، كنت أرتاد الموقع لأقتش المكان ، لقد
وصلت الآن فقط الى هذا القصر . استحلقت بانه

ماذا تفعل بشمانية أحواض غسيل ؟

أوريوردن : أوه ، ألم تعرف بعد ؛ أن توللى يملك هذا

البيت ، توللى الذى يكتب اسمه على الخزف

الصينى من هنا حتى بلاد الصين .

كللى : ولكن لماذا ، اذا جاز لى أن أسأل ، تختلف ألوان

هذه الأحواض (المغاسل) الثمانية ؟

أوربوردين : انها تذكره بوطنه فلكل فرد في العائلة حوضه الخاص به .

كللى : حسنا . انى لأرجو من أجل ايرلندا أن تتجنب هذا الحوض الأخضر .

موللى : ستركك يا مستر كللى فأنى متأكدة من أن لديك ماهو أكثر أهمية .

كللى : هناك أوقات لا يوجد فيها شىء أكثر أهمية ، ولكن هذا ليس واحدا منها .

موللى : سترجع ثانية بعد حين . ربما نقابلك على الغذاء .

أوربوردين : مع السلامة مؤقتا ، مع السلامة يا جونى .

جونى : الى المنتقى . (تخرج موللى وجونى)

أوربوردين : حسنا ، يا سين ، ما الذى جاء بك الى أقصى الشمال ؟

كللى : يظهر ان كابتن تريجارثن مرتاح الى البقاء هنا وكأنه فى بيته .

أوربوردين : هذا ما أريد قوله . انه فتى عظيم .

كللى : وابنة عمك تبدو نضرة يانعة .

أوربوردين : (حزينا) أجل انى متأكد من ذلك .

كللى : قل لى ، هل تابعت ما سبق لك أن حدثنى عنه
بخصوصها منذ برهة ؟

أوريوردن : كان ذلك قبل الحروب الكثيرة التى كان علينا
أن نخوض غمارها مما جعلنى أؤجل مفاتحتها .
يا للنعنة ! كيف أطلب منها أن تكون زوجتى
الآن ؟

كللى : ولم لا ؟

أوريوردن : أوه ، لقد حاولت ذلك مرة أو مرتين ولكن
الفرصة كانت تفلت منى . ولعلك تدرك يا سين
أنتى كنت لها دائما بمثابة الأخ الأكبر حتى أنها
لن تستطيع — فيما أظن — أن تنظر الى باى
اعتبار آخر . وفى صبيحة هذا اليوم نفسه بدأ
الحديث يتجه بنا وجهته الملائمة ولكنى فى
اللحظة التى جمعت فيها أطراف شجاعتى
لمفاتحتها دخل علينا جونى .

كللى : دخل جونى .

أوريوردن : وهأنا الآن قد فترت عزيمتى ثانية !

كللى : ميكىل ، هل ترغب فى أن أنقله من هنا ؟

أوريوردن : من ؟

كلى : كابتن تريجارثن .

أوريوردن : يا لله ! كلا . انه صديقى ولا أحب أن أفقده

مقابل أى شىء فى العالم . انه لمجيب منك أن تقول ذلك لى فجأة . لماذا أرغب فى أن أفقده ؟

كلى : أوه ، ليس هناك من سبب ، غير انه من الحق

أن تشعر بكل هذا الحب نحو عدو . لكن

يظهر لى ، يا ميكل - - اذا سمحت لى بالرجوع

الى الموضوع الذى يهيك - - ان قلبك لا زال

يسير فى نفس الاتجاه منذ آخر مرة تحدثت

فيها الى ، ولهذا لن أضيع أى وقت ، بل

وسأتابعه .

أوريوردن : آه ، بالتأكيد انى أعلم ذلك جيدا ولكن كيف

يمكن لى أن أثبت من أنها لن تقول : نعم ؛

بدافع الشفقة والرحمة ؟ لن يمكنى أن أتحمل

عجزى عن رؤية عينيها عندما أفاتحها فى أمر

الزواج . كيف يمكنى أن أضمن ملامح الدهشة

والأسى التى ترسم أولا على وجهها ثم تطردها

شفقتها على ورحمتها بى ، وهذه ليست حبا ؟

كلى : ميكل ، ليست هذه طبيعتك . ينبغى أن تكون

محبًا من نفس الطراز الذي كنت عليه كمحارب .
فوالله كم حسدتك على هذا النوع النادر من
الجنون الذي كان يعتريك عندما كنت تحارب
وكان أسلافك ممن لا تعي الذاكرة أسماءهم
يركبون معك ، يهتفون في عروقتك ويملاؤن
شغاف قلبك . هذه هي الطريقة التي يجب على
الرجل أن يحارب بها . وكنت أقف بجانبك
مشدوها كما لو كنت أحل حسابا عقليا ...
لا ريب في أنني كنت محاسبا عظيما ، أضيف
جرحا هنا وانقص حياة من هناك ، مطابقا الحذر
التربيعي للألم مع نتيجة فصل جسد عن روحه
وفي نهاية الموقعة كنت أتمكن من أن أقول لك
الجواب ؛ حتى الحد الثالث العشري بكل
دقة . قد يلتبس لمثلي بعض العذر ان أنا
تصرفت في شؤون الحب كما تتصرف فأنا بارد
بطبعي ولقد قضيت حياتي محاولا أن أجعل
نفسى تحس الحزن والحب وغيرهما من
العواطف ولكنى فشلت .

أوريوردن : ربما كان في امكاني أن أحب مرة كما كنت

أحارب ولكن القلب كالطفل يخيفه الفلام ،
 وعلى أية حال ، ماذا تحاول أن تجعل نفسك ؟
 أتريد أن تكون سمكة باردة مختنقة تلمع فوق
 عالم يكسوه العشب الأخضر ؟ ان القلوب
 الباردة لا تحارب في سبيل القضايا الضائعة
 كما فعلت انت . هل يفعلون ذلك الآن يا سين
 كيللى ، أيها الجندي الغني ، وهل يفكرون في
 القضايا الخاسرة فحسب !

كللى : كنت أتمنى فقط أن أجعل نفسي تحس وتشعر
 يا ميكل . هذا كل ما في الأمر ولكنني لم أتمكن
 فكل قضية أحارب من أجلها تريح ، ليس هذا
 فظيماً !

أوريوردن : وما رأيك في قضيتنا هذه ؟ أظنك قد قدمت الي
 هنا بصفتك الرسمة كعالم في علم الحساب ؟
كللى : هو كذلك في الحقيقة . ولكن مشكلتك الخاصة
 تشغل ذهني في الوقت الحاضر أكثر من أي
 مشكلة أخرى .

أوريوردن : هذه نظرية خاطئة بكل تأكيد يا سين . فعندما
 تتمدد على العشب فإن زهرة على بعد بوصة

أو بوصتين من عينك ليكنها أن تطمس جبلا
على بعد ميل أو ميلين منك . دعنا أذن نقتلع
مشكلتى الصغيرة هذه لننظر الى الجبل الضخم ،
أليس كذلك ؟

كلى : أنتلع مشكلتك ؟ حينما كم أتمنى لو أمكننى
ذلك . ومع كل فھيا بنا الى العمل . ان لدينا
معلومات عن نشاط جنود التان فى هذه المنطقة ،
والقوة التى زارت هذه المنطقة فى الأسبوع
الماضى لم تكن الا طليعة للاستكشاف ،
وسيرسلون اليها الفصيلة التى نزلت الى البر
الليلة الماضية فى « جالن باى » لتقويتها . وقد
تلاقت الفرقتان ؛ وهما آتيتان الينا عن طريق
البر ؛ بينما وصل الجنود الى « دالجنى » من
ساعة مضى . أما هدفهم فهو تطهير مقر القيادة
هذا .

أوروردن : هكذا ! مسكين تولى !
كلى : سيفوقونا عددا بالطبع ولهذا فان أفضل فرصة
لدينا هى أن نعد لهم كميناً ؛ فقد جمعت كل
ما أمكننى الحصول عليه من الرجال الصالحين

وهم ينتظروننى الآن مسلحين فى الغابة الى الشرق من هذا المنزل . أماننا وقت كاف ، أما المشكلة الآن فهى فى اختيار مكان الكمين . ولما كنت تعرف هذه الناحية تماما كما تعرف أعضاء جسدك ، فقد أتيت أطلب مشورتك . لقد اجتزت هذه الأنحاء كلها بسرعة فى الليلة الماضية وفكرت فى « كلن وود » لأن الطريق تنحنى خلالها ، فما رأيك ؟

أوريوردن : سيجد الأعداء هناك ما يغطيهم . كما نجد نحن تماما متى أطلقنا عليهم النيران .

كللى : أين نعد الكمين اذن ؟

أوريوردن : ما رأيك فى « قنطرة جلاسفت » التى يتحتم عليهم أن يعبروها ؟

كللى : أليس فى قرب هذا المكان من هنا خطر علينا ؟

أوريوردن : قد يضلهم ذلك فيظنون أننا غير مستعدين .

كللى : قد يحدث ذلك حقيقة .

أوريوردن : كما أنها أفضل موقع للكمين ، اذ يمكنك وضع نصف رجالك على هذا الجانب من القنطرة والنصف الآخر فى الغابة الى يسار الطريق .

دع جنود النان يعبرون القنطرة ثم صب عليهم
النيران من هذا الجانب حتى اذا هموا بالتقهقر
الى الخلف وعبور القنطرة طلقت عليهم النيران
من الجانب الآخر وسيكون ذلك مفاجأة مزدوجة
للمدوّ .

كلى : مفاجأة ... يا له من تقليل لقبعة الخطة ! اجل
سنرفع لهم حواجبهم دهشة ودعرا ! انى لأذكر
هذه البقعة جيدا . أين هى على الخريطة الآن ،
نعم ، نعم . وسبعطينا ذلك وقتا كافيا . لا يمكن
لجنود النان ان يكونوا قد وصلوا الى بُعد
من « جلاسلو » حتى الآن . وتصلنا التقارير
عنهم كل ساعة . فاذا نمكنا من أخذ مواقعنا فى
الساعة الثالثة من عصر اليوم كان أمامنا وقت
متسع . (ينادى من بعيد) سكانلون !

سكانلون : (من بعيد) هأنا قادم يا سيدى .
(يدخل سكانلون . وهو نحف . أسمر .
خحول . محاص كلى . ممصّب لدرجة
الجنون)

كلى : ابق قريبا منى هنا حتى بعد الغذاء ثم احضر فى
الساعة الثانية . سننصب كمينا فى « قنطرة

جلاسف « ولكن لا تقل ذلك لأحد بعد
فالأسنة طويلة جدا .

سكانون : آه شكرا لله فسيوفر ذلك للكاهن وقتا يستمع
فيه الى اعترافاتنا لقد كنا نخشى أن نذهب الى
ميدان القتال على عجل دون أن نحصل على
شيء سوى غفران عام . (يخرج)

كللى : يا عزيزى سكانون ! انه شديد التمسك بايمانه
... هذا كثير جدا على عقله الضعيف .

أوربوردين : هل ستذهب أنت نفسك ؟

كللى : الى الاعتراف ؟ لا أظن ذلك . لست أجد مبررا
لأن أكرس عادتي ، لقد مضى الآن على آخر مرة
ذهبت فيها للاعتراف عشر سنوات .

أوربوردين : لقد وجدت نصف العادات لتكسر .

كللى : لست أنا الذى أكرسها ، رغم اننى كدت أفعل
ذلك سنة ١٩١٦ عندما قال الأميرالاي الصنيق
الوجه فى المحكمة العسكرية : « ستؤخذ من
هذا المكان لتضرب بالرصاص » ولكن تأجل
التنفيذ ومرت الأزمة بسلام .

أوربوردين : حسنا فليهبك الله موتا مريحا هادئا فى فراشك !

كللى : ليس معنى ذلك انى لا أومن بكل هذا ...
كلا ... انى أومن طبعاً بالاعتراف ولكن لكى
تعترف يتحتم عليك أن تشعر بالحزن والندم
على خطاياك ، ولم أشعر فى حياتى أبداً بالحزن
على شىء .

أوريوردن : لعل الحزن أحد هذه العواطف التى تدعى أنك
لا تحس بها ؟

كللى : ولكنى لا أشعر فعلاً . لا تحاول أن تشكل
أصدقاءك حسب ما تريد يا ميكى . انظر اليهم
كما هم ثم أحبيهم ان استطعت . وأقولها بكل
أمانة انى لم أحزن فى حياتى على شىء . يظهر ان
الحزن والندم وغيرهما من المشاعر اللطيفة قد
ماتت فى داخلى أو لعلها لم تولد أصلاً .

أوريوردن : بل على الأرجح انها نائمة فقط يا سين كالعدارى
الجيالات الناعسات ينتظرن قبلة الأمير
ليستيقظن ! ما رأيك فى ذلك ؟

كللى : هذا تعليق جميل ، ولكن ، أخشى أن يكون ذلك
كذباً صريحاً . فكم تمنيت على الله أن أتمكن
من البكاء ولو مرة واحدة حتى أرجع عقارب

الساعة الى الورااء لأبطل شيئاً فعلته . وفي بعض
الأحيان تحدثنى نفسى بارتكاب عمل فظيع لمجرد
تحقيق هذا الأمل وقد أفعل ذلك يوماً ما ...
أجل ربما فعلت ذلك .

(يدخل سكانلون راكضاً)

ما الذى يجعلك — بحق السماء — تلقى
بنفسك هنا دون أية أوامر ؟

سكانلون : آسف يا سيدى ، ولكن الرسائل تحمل أنباء
مرعبة ... يا الهى ! انها أخبار مروعة .

كللى : هدىء من هوسك وفل لنا ما لديك من أخبار

سكانلون : لقد أطلق الأئذال النار يا سيدى على «ركسيوه»

و « ميجل » و « أوشيا » دون أكثرات ،

فانطلقت الأخبار كالنيران من دبلن .

(ينتزع كللى الونائق منه)

أوريوردن : «ركسيوه» ، «ميجل» و «أوشيا» ! يا الهى ،

لا يمكن أن يكونوا قد قتلوا ! هل أسروا ؟

أم ماذا وقع لهم ؟

سكانلون : أسروا وأعدموا رمياً بالرصاص دون

مبالاة ، اخترق الرصاص أجسادهم ولم يسمح

- لهم بمقابلة الكاهن . انها لأبشع جريمة .
- أوريوردن : لكنهم أسرى حرب ! ولا يطلق الرصاص مطلقاً
على أسرى الحرب !
- سكانلون : لقد اقترف جنود التان هذه الجريمة . ألا فلتحل
عليهم لعنة الله وتقذف بهم الى الجحيم .
- أوريوردن : ليرحم الله روح « ميغل » .
- كللى : (بشدة) رحماك يا ربى ، هل أعجز حتى عن
مجرد اشعور بالحزن حينما يطلق الرصاص
على ثلاثة من أعز أصدقائى ؛ حسناً ، لقد
أصبحت يا « ميكل » كل ما تبقى لى من أيامنا
المحيية الماضية ، أنت و « كهن بيرن » ...
ما هذا ؟ (يستمر فى القراءة) لكى يكون
الموت جزاء الموت والحياة مقابل الحياة يجب
أن يقترع على أسماء ثلاثة من ضباط الجيش
البريطانى أو من ضباط الصف .
- أوريوردن : ما هذا ؟
- كللى : انه الثأر . يا للغباء .
- سكانلون : غباء يا سيدى ؟ هذه عدالة السماء ، انها كذلك .
- أوريوردن : ألا تصمت ؟ . سين ا أى شىء هذا ؟ ما الذى
سيحدث ؟

كللى : هذا هوس فى مقر القيادة . انها حماقة الغضب .
والآن أدركت سر كتابتهم الى بكل هذا
التفصيل عن الموضوع . انهم يظنون أنى لن
أضمر بوخر الضمير ، وأحب انهم على حق
فى ذلك . لقد أنابونى لتنفيذ حكم الاعدام
بالقرعة ، يساعدى فى ذلك اثنان من كبار
الضباط وهما يقصدانكما بذلك ؛يها السادة .

أوريوردن : ولكن ، ياسين ، انا ...

كللى : لا محل للمناقشة . هذه أوامر صريحة يجب أن
تنفذ سواء اتسمت بالحماقة أم بالحكمة . لقد
أقسمنا على أن نفعل ذلك .

سكانلون : شكرا لله ، سيكون لى يد فى الثأر لأصحابى .

أوريوردن : استحلفك بالله أن تكف عن هذا الابتهاج
والافتخار .

كللى : انصتوا ؛يها السادة .. سيكون التنفيذ خلال
ثلاثة أيام على يد أى ضابط مكلف بحراسة
هؤلاء الرجال المحكوم عليهم . آه ! ها هم قد
أرفقوا بخطابهم عامدين قائمة بأسماء الأسرى
من ضباط وصف ضباط ، لم يرتبوها حسب

الحروف الأبجدية ، كما أرى ، ولكنها كتبت حسب ما اتفق فالعريف بجانب العميد كما تأتي الستة بجانب الملك في ورق اللعب . حسنا ، أيها السادة ، ان لدينا متسعا من الوقت قبل الغذاء فهل نبتدىء الآن فورا ؟ اجلسا . أقترح عليكما أن يمسك واحد منا بدبوس يخز به أسماء من تقع عليهم القرعة لأعدامهم وحتى نتأكد من أننا سنكون منصفين وغير متحازين هل تفضل أنت بالقيام بهذا العمل يا ميكل ؟

: سين ، استحلفك بالله دعنا تناقش هذه الأوامر فلن نستطيع رمي رجال الجيش البريطاني بالرصاص ردا على ما ارتكبه جنود التان .

أوريوردين

كللى - : لا أجد أى فرق فى ذلك .

أوريوردين : ستندم القيادة على ذلك فيما بعد ... أجل ستندم حتما .

كللى : انك تعرف قائد الجيش وتعلم أنه لن يندم ، فما يقلقتك ؟ ان استقرار عدد من الرصاص الرمادى فى القلب لطريقة صالحة للموت كغيرها من الطرق ... ان كانت هناك طرق صالحة

تسبب الوفاء . وعلى أية حال فغضب الرأي العام يتطلب منا توضيحاً وعلينا أن ننحني أمام العاصفة . وقبل أن نبدأ عملية الاقتراع علينا أن نوضح نقطة هامة . ان من يجد الدبوس اسمه ، كائناً من كان ، يجب أن يسوت . لن يكون هناك أى تلاعب أو استثناء ويجب أن نكون كما سمانا القائد في بلاغة تنقصها الدقة ، «أداة العدالة الإلهية» . فهل نحن على استعداد؟ لا فائدة ترحى يا ميكل فنحن ملزمون لانتبا أقسمنا على طاعة الأوامر ولهذا فلن تقع المسؤولية علينا .

تذكر أن القسم ملزم لنا . هيا الى العمل فنحن منتظرون . (يخز أوريوردن اسما) سكانلون . سجل الأسماء كما أفادتها : الرائد بيتر بيردمور .

- سكانلون : رائد ؟ أليس كذلك ؟ ... رائد ؟ ...
كللى : ان الرتبة العسكرية ليست جوازا للخلود :
اكتب اسمه عندك .
سكانلون : (وهو يكتب) الرائد بيتر بيردمور

كلى : التالى (يخز أوريوردن اسما آخر) ليست
الوخزة قريية من اسم بالذات .

انرس الدبوس ثانية (يفعل أوريوردن ذلك)
الرقيب نيثيل دى كورسى . يا له من اسم جميل
لرقيب . لعله غيره فى سجل المقترعين ومع كل
فصوف يلحق سريعا بارستقراطية القديسين .

سكانلون : (يكتب) الرقيب نيثيل دى كورسى .

أوريوردن : سين . رحماك .

كلى : كلا ، يا ميكل ، حتى لو كنت أشعر برحمة بهم
فسأظل عاجزا عن تقديمها سأخدم من أقسمت
اليمن على خدمته فحسب ، وهكذا يجب أن
تفعل أنت . لننظر الذى يليه .

(يدخل تولى وشاموس بالحقائب)

تولى : ضع الحقائب على الدرج . سأضطر للسفر غدا ،

هذا كل ما فى الأمر . لن أعطلكم أيها السادة ،
انى مالك هذا المنزل .

كلى : (فى هدوء) التالى .

شاموس : انى آسف يا سيدى ولكن كيف كان لى أن أعلم

ان « تم » قد تسلق عربة الماء دون أن يخطرنا ؟

(يخرج توللي وشاموس الى فوق)

- كللى : (يخبز أوربوردين اسما آخر)
كللى : (ينظر الى الورقة ثم يركز نظره على أوربوردين لحظة طويلة ويستدير فجأة الى سكانلون) :
النقيب جون تريجارثن .
أوربوردين : (يصرخ) أوه ، كلا .

(يدخل جونى وموللى متنازعين ويد كل منهما فى يد الآخر)

- موللى : (وهى داخلة) ميكل ، ميكل ، هل أنت هنا ؟
ان لدينا أخبارا لك .
جونى : أخبار عظيمة هامة .
موللى : آه ، انى آسفة ، سنخبرك فيما بعد . فلتباركك السماء أيها العزيز ميكل . مسكين توللي ، لقد فاته القطار . (يضحكان معا ويخرجان) .

- سكانلون : النقيب جون ؟
كللى : تريجارثن .
سكانلون : (يكتب) تريج — آرث — ان (بينما يقف أوربوردين متصليا ويكتب سكانلون متجاهلا)

تسدل الستار

الفصل الثاني

المنظر نفسه ، عصر اليوم نفسه
(شاموس يصقل أدوات المائدة الفضية في منشفته الملوخة الخضراء)
(ندخل موالى من الحديقة)

موالى : أوه ، شاموس ، ألم تر ميكل في أى مكان ؟
شاموس : مستر ميكل ؟ دعيني أفكر ، لقد رأيته آخر مرة
... متى كان ذلك ؟ كان هذا بالضبط قبل أن
يركب المستر توللى الى المحطة . لقد كانا
يتحدثان هنا وكنت أنا أعد العربة .

موالى : ألم تره منذ ذلك الحين ؟ لن نجدنا ذلك .
شاموس : انتظرى . ألم أره عند رجوعى ! ... لقد كان مع
كللى نفسه ومع شاب آخر في هذه الحجرة
نفسها ؟

موالى : حسنا ، لقد رأيته حينئذ ، ولكننا لم نقف له
على أثر من وقتها ، انه لم يتناول طعام الغداء
بعد .

شاموس : آد ، هذا لا يصح ، فعلى الانسان ألا تفوته أى
أكلة رسمية من النوع الجيد .

جونى : (نازلا السلم) لم أجد له ثرا فوق ولكنى
لا زلت أضل طريقى فى هذا القصر الفسيح . قد
أكون أنغلت جناحا بأكمله .

موللى : حسنا ، يمكننا أن نخبره فيما بعد أيها الحبيب ،
لا بد أنه مشغول بشىء ما ... ربما تكون قد
وصلته أخبار سيئة عن بعض أصدقائه فى ساحة
القتال .

جونى : أجل . فقد بدا لى الجو مكفهرًا عندما دخلنا .
هذا لا يهم ، فالأخبار الطيبة كالخمر الجيدة
تستحق الانتظار .

شاموس : هل شربتما من الخمر التى عصرتها اليوم ؟

موللى : شربنا فعلا ، فقد كنا نحتفل ...

شاموس : ان لونها رائع ، وهذا يذكرنى بالفترة التى كنت

فيها سجينًا عقب حملى السلاح من أجل أيرلندا

سنة ١٦ فقد كنت أجلس وأنظر من بين قضبان

السجن الى التلال الخضراء وأشعة الشمس

الغاربة الحمراء والنجوم الفضيحة وأفكر فى

المشقة المصنوعة من الجوخ وفي الخسر التي
أعصرها وفي الملاعق التي أجلوها . وعندما
أرقد في فراشي الضيق في الليل كنت أحلم بأني
أربط هاته التلال الخضراء حول وسطى وأعصر
الشس الغاربة نفسها وأحقل ملايين النجوم
التي تملأ هاته القبة الزرقاء آه ، يا له من حلم
عظيم ! ويا لها من يقظة مخيفة مروعة !

مولي : (الى جوني) هاك نجم امسكه في يدك .
(تعطيه ملعقة)

جوني : وهاك نجم لك . كم أتمنى ألا يخبو نورهما
أبدا .

مولي : دعنا نحفظ بهاتين الملعقتين ، ألا ترى أن
نحفظ بهما ليجاب لنا الحظ يا شاموس .

شاموس : يمكنك ذلك ، طبعاً ، يا مس موللي . ان الملاعق
ليست ملكي بالتأكيد واني لأتمنى أن تجلب
لكما حظاً سعيداً . سأترك باقي هذه الملاعق
تتلاها على المائدة وتضفي على الحجرة جوا من
الراحة . ان الجو معتم في الخارج وهناك
اشاعة عن قرب قدوم جنود التان . ألا تسمعون :

كم يسود الهدوء ؟ ان الجنود يقومون بنهامهم
تحت قيادة كللى نفسه .

جوني : اذن فمن الأفضل لنا أن نبقى فى الداخل .

موللى : لن يمنعنى شىء من النظر من النافذة اذا سمعت
أى حركة .

جوني : كلا . أرى أنه يجب علينا جميعا أن نعتصم فى
الثكنات ... على الأقل حتى يعودوا . كم أتمنى
لو أن ميكل كان معنا هنا .

شاموس : سأبقى داخل القصر يا سيدى وسيكون المستر
توللى أيضا قريبا منا هنا ، فلا تخف أبدا . واذا
رأيت المستر ميكل ، فهل أخبره أنكما تبحثان
عنه ؟

موللى : أرجوك . بارك الله فىك .

شاموس : وبورك فىك .

(يخرج شاموس)

موللى : يا لشاموس العزيز وقد امتلأت يداه بالنجوم .

جوني : انه خيالى كبير . يعتقد ميكل أنه سجن لانتقامه
بالسلب والنهب .

موللى : آه ، وما أهمية ذلك ؟ لا بد أنه كان نبها جميلا

طبقا للطقوس والرسميات ! انه شاب صغير
عظيم .

جونى : (مسكا بساعته) ألبست هذه رمزا للزواج ؟

موللى : (بنعومة) أجل ... أرجوك .

(يقبلان بعضهما)

جونى : أوه يا عزيزتى موللى . كم أتمنى لو كنا بعيدا

عن هنا — هناك فى إنجلترا — أريد أن يكون

حبنا فى هدوء .

موللى : آه ، بالتأكيد . لا تقلق لهذا الاحتكاك الطفيف

مع التان . لا يمكننى القول بأنى أحب كللى ،

ولكنى أثق فى حمايته لى . وعلى أية حال ، انظره ،

فها هى سماؤنا الصغيرة الصافية المليئة بالنجوم

والتي لن يمكن للغيوم أن تعكر صفوها أو

للمواصف أن تزعجها ، موضوعة هناك وقد

رسمتها يد العالم الفلكى شاموس نفسه . انظر ،

تجد كوكب « أوريون » (كوكب الجبار)

بحزامه وسيفه .

جونى : وها هو (المجراث) وقد اقلب رأسا على عقب .

موللى : أوه يا حيبى ، هذا معناه سقوط المطر ! تأمل ،

نجوم الثريا يكملها في ملاحق الرسل .

جونى : وها هو نجم لا يوجد في السماء العادية املاقا .

نجم جديد يسبح في مدى البصر . ماذا نسميه ؟

موللى : شكر الله قبل تناول الطعام .

جونى : لماذا هذه التسمية بحق السماء ؟

موللى : انها ملقطة حياء .

جونى : تليل جميل . ان ميكل موهوب ، لقد كان على

حق عندما قال ان العالم قد ابتداء اليوم . انه

لكذلك في نظرنا نحن على الأقل . ألا يبدو كل

شيء حولنا غريبا فطريا ؟ ... انظر ، ان ضوء

هذه الحجرة لا يشبه أى ضوء آخر سبق لى

رؤيته ، انه يبدو كلون البنفسج نتيجة لهبوب

العاصفة وتجمع الفيوم في الخارج وهذا النور

في الداخل .

موللى : ان حينا يتحدى الرعد ! وسنقبل التحدى !

خبرنى الآن أين سنعيش في انجلترا ؟ وهل

سيتمكن هذا السيد لايس الكاكى من أن

يوفر لى الرفاهية التى تعودت عليها هنا ؟

جونى : أوه ، انها نوع من الرفاهية مختلف جدا

كاختلاف اجلنرا عن ايرلندا . فأول كل شىء
انى حينما أخرج من هنا سأستقبل من الجيش.
لقد أخذت كفايتى من الجنديّة فى الأسبوع
الأول من خدمتى .

مولى : يا حيبى المسكين ولماذا بقيت فى الجنديّة ؟

جونى : أوه ، بدافع القصور الذاتى فحسب . ان الأبن
الأصفر للمزارع الثرى لا يرث كما تعلمين ، وأنا
فى شديد الحاجة الى البقاء فى المزرعة .

مولى : حسنا ، استمر ، قل لى أين سنعيش ، أريد أن
أرملق المستقبل .

جونى : فى المزرعة يا حيبى . لقد قتل أخى الأكبر
عام ١٩١٨ وقارب أبى السبعين ، وهو يتوق الى
رؤيتى معه فى البيت . لهذا سنعيش فى المزرعة ،
وستحيين والدى ، ان له أقسى أنف وشارب
يمكن أن يقع عليهما بصرك ولكن له أفلرف
عينين .

مولى : أوه ، لقد أحببته فعلا .

جونى : تقع المزرعة على تل فى باكنجهام شير وفى اليوم
المشرق يمكنك أن تشاهدى لندن ، وبمساعدة

المنظار المقرب الذى يحتفظ به أبى فى حجرة
نومه يمكنك أن ترى كيسة القديس بولس
نفسها .

موللى : منظار مقرب فى حجرة نومه ؟

جونى : أجل . انه يرفب به النجوم أيضا ، ورغم أنه
لا يعترف بذلك أبدا فهو يستخدمه ليشاهدنا
عن بعد عندما نرجع الى البيت فى اجازة .

موللى : يا له من حبيب . اذن فسأتمكن من الذهاب فى
عربة الى لندن وأشنرى المدينة بأكملها . أرجو
أن تكون لديكم عربة ذات أربعة خيول .

جونى : يا حبيبتى ، لدينا سيارة رولز رويس ، وهى
سيارة عظيمة كبيرة تكفى لحمل تابوت .

موللى : يا لمحة الله ! سيارة يدفعها محرك آلى . انها
مخاطرة لم أقم بها بعد .

جونى : ستكون واحدة من سيارات عديدة يا حبيبتى .
كما أنه يوجد بقرية بروم ، القرية من مولتى ،
أجمل كنيسة قديمة ذات برج مربع وعلى جانبها
ساعة شمسية (مزولة) ملونة مكتوب تحتها :
« يقبل الليل » . لست أدرى لم تبدو هذه

المزاول الشمسية كثيفة قائمة باستمرار ؟
: لن نحتاج ، بكل تأكيد ، الى مزولة لمعرفة
الوقت ومع كل فسيديو النهار أكثر اشراقا
بسببها (بلطف ورقة) حبيبي جوني ! هل في
هذه الكنيسة القديمة ذات البرج تنوى الزواج
منى ؟

موللي

: كلا ، لا تحملى هما . فهناك كنيسة كاثوليكية
على طرف القرية مبنية من الصاج المرعج
وستكون هذه كاتدرائيتنا ، فهل يرضيك
هذا ؟

جونى

: يخيل الى أنها الجنة بعينها وسنحاول أن نجعلها
كذلك ، فهل نحن فاعلون ؟

موللي

: سنفعل ذلك بكل تأكيد ، فحالما تزول هذه
المتاعب — ولا يمكن أن تدوم أطول من ذلك
— سوف نبحر الى انجلترا ، ومن دواعى
الأسى أننا لن نستطيع أخذ ميكل معنا . سوف
نشعر بوحشته .

جونى

: يمكنه أن يأتى ويكون عرابا لأول طفل لنا .
: (ضاحكا) أجل فوالله ما كنت أدري بعد أن

موللي

جونى

تمودت على سماع اسمه بهذه الكثرة أنتى
سأقابه على هذا النحو . ان اسمه واسم كللى
أشبه بالأسطورة بين المحاربين البريطانيين هنا ،
هل تعرفين ذلك ؟ لقد كنت أشعر بالخجل عندما
أجد أن الجنود الهواة قد أصبحوا في شهرة
أبطال الأساطير بينما أنا ، وصناعتي الجندية ،
انظر الى الحرب بخوف ووجل . ألا يستمر
حبك لى اذا اعترفت لك أنتى فرحت عندما
أخذت أسيرا ؟

مولى : لن يوجد شيء فى كل هذا العالم الذى خلقه الله
سبحانه يمكنه أن يمنعنى عن حبك . وأرجو أن
تكون فرحا بأسرك والا فكيف كان يمكن أن
تتقابل ؟

جونى : كم عانيت من كابوس أولئك الذين كنت أطلق
النار عليهم فانى لم أتمود على ذلك أبدا ، كما
خشيت أيضا على نفسى من أن تطلق على النيران .
وطالما حلمت بعين زرقاء واسعة تنظر خلال قلبى .
مولى : لا تبتس يا حبيبى فقد انتهى كل شيء الآن .
جونى : أجل . كل شيء قد انتهى .

(رعد • يتكرر الدوى)

مولى : انس العاصفة التى فى الخارج وفكر فقط فى
النجوم التى فى الحجرة (تشير الى الملاعق)
انها ترمز الى مستقبلنا وهى لامعة ثابتة هيا
افرح وتهلل .

جونى : آسف يا حبيبتى . فما يضايقنى الا أجد نفسى
فى هذه اللحظة واقفا بأطراف أصابعى على قمة
هذا العالم كما يجب أن أكون مادامت أجمل
فتاة تصيد الأراب من فوق ظهور الخيل
تجبنى ...

مولى : جونى ! ان هذا لن يترك مجالاً للمنافسة .

جونى : ولكن يخيل الى أن الرعد الذى يدوى فى
الخارج قد استتر هنا فى قلبى (يلمس قلبه)
لماذا ؟ . حلّى لى هذا اللغز كما يقول ميكى .

مولى : ان ضغطاً جويًا منخفضاً يقترب من هارثلند . فى
الواقع يا حبيبى أنكم تنهوننا بأننا نعتقد فى
الأوهام والخرافات ، ولكن الشعب الانجليزى
هو أكثر شعوب العالم ايماناً بها فانك لن
تستطيع أن ترى سحابة دون أن تفكر فى الخيل

ذات الشعر الأسود ، أو وميضها من البرق
الفضى دون أن تتخيل رؤية غراب اسود
يجثم هناك .

جونى : ليس هذا صحيحا . ولكى أثبت لك ذلك ،
هأنا أتخلص فورا من الكتابة التى تضايقتنى
بالطريقة المؤكدة الوحيدة (يقبلها)

موللى : ألا زلت مكتئبا ؟

جونى : أجل بالطبع مادام ذلك . هو العلاج (يضحكان)

موللى : هذا أفضل .

جونى : يا حبيبتى ، لم لا تتزوج هنا ... وفى الحال ؟

موللى : آه ، من المؤكد أنك لا تعلم صعوبة ذلك فى

أيرلندا ، فمن الصعب الحصول على تصريح
بالزواج المختلط فى الظروف العادية ...
والظروف الآن كما تعلم ليست مواتية . كلا ،
دعنا نتمتع بخطبتنا أليس كذلك ؟ لا شك ان
لكل مرحلة من الحياة سحرها الخاص بها ،
وهذا هو سحر فترة الخطبة . فى انجلترا
ستتمكن بكل تأكيد من الحصول على اذن
بالزواج .

جونى : اتمنى ان تكونى على صواب فلم يسبق لى أبدا
طلب تصريح بالزواج .

موللى : لن يطول بنا الوقت ، يا جيبى ، حتى يأتى يوم
الزواج . ألا تذكر الأغنية ؛ سوف تتطلع الى
كاتدرائيتنا الصغيرة ذات الصاج المرعج فى قرية
بروم ، ومنتظر حضور والدك وميكل أيضا .
وستشيع فرحتنا الدفء فى المعبد حتى بعد
رحيلنا فى سيارة الرولز رويس لقضاء شهر
العسل .

جونى : وأين سنقضى شهر العسل ؟

موللى : فى السماء طبعاً . فى أى مكان آخر تظن أننا
سنقضيه ؟

جونى : كلا ، انى أسألك جادا أين تحبين أن تقضيه ؟

موللى : آه ، انى لم أفكر بعد فى اتخاذ قرار فى هذا
الشأن . سأحلم بفينيس وكابرى وباريس
ومراكش . سوف أحلم بكل ذلك !
(يسمع تصف الرعد)

جونى : ها قد دوى الرعد . من الأفضل أن نضىء
المصباح (يفعل ذلك) . لقد حل الغروب بعد

الغذاء . وهناك شخص ما فى الطرقة الخارجية
(يذهب الى النافذة) . شكرا لله ها هو ميكل
اخيرا . اوه ، ان توللى هو الذى اعاقه .

مولى : مسكين ميكل . دعنا نقف تحت المظلة ونفاجئهما .

توللى : (داخلا) بالله عليك دعنا ندخل . سوف ينزل

مطر غزير فقد يشد السلسلة أحد الملائكة فى أية

لحظة (فترة انتظار) اوه ، يا عزيزى ، من قال

ان الأيرلنديين عندهم روح الفكاهة والدعابة ؟

(يدخل أوربوردن) ما دمنا الآن معا وقد تحررت

من مشاكل حربك الصغيرة فى هذه اللحظة

فانى أريد أن أتحدث اليك فى أمور هامة . ماذا

تفعل بـخشب أشجار الزان التى فى الخيمة ؟

أوربوردن : ماذا تفعل به ؟

توللى : أجل . ان الخشب مرتفع الثمن هذه الأيام

ولست لهذه الأشجار أية فائدة تبرر الابقاء

عليها . انى أقترح أن نقطعها .

أوربوردن : بالله عليك دعها تحيا . ان لدينا من القتل والابادة

ما فيه الكفاية دون أن تبدأ أنت الاشتراك فيه .

توللى : فى الواقع يا أوربوردن لقد أصبح من الصعب

أن أتساهم معك على الاطلاق . قدم لى سببا
واحدا معقولا لعدم قطع هذه الأشجار .

أوريوردن : ان هذه الأشجار جميلة ، وفي هذا الكفاية . هل
أنت في حاجة الى تفود ؟

توللى : كلا

أوريوردن : حسن ، وبعد !

توللى : ان ادارتك الحكيمة لهذا المكان سر'يمجزنى فهمه
ومع كل فأنت تقيم هنا أكثر مما أفعل ولهذا
سأبقى على هذه الأشجار ، فما رأيك فى ذلك ؟
أوريوردن : شكرا .

توللى : وهناك الأمر الآخر ...

أوريوردن : ليس الآن ، أستحلفك بالله ليس الآن . أنا آسف ...
لست فى حالتى الطبيعية ، أرجوك ، ليس الآن !

توللى : أوه ، حسن جدا ، طبعا (فترة سمت)

أوريوردن : ما الذى يجعل الحجرة دافئة هكذا ؟

توللى : لقد أضاء بعضهم المصباح .

أوريوردن : أوه ، وهل أظلمت الحجرة الى هذا الحد ؟

سوف يساعد ذلك كللى .

موللى : (من المظلة) ميكل .

اوربوردن : موللى ! هذا ما ظننته .. فان شيئاً آخر غير
المصباح كان يدفىء الحجرة .

موللى : وشيء آخر غيرى ! قل لهم يا جونى !

اوربوردن : جونى ...

جونى : كلا أخبرهم أنت !

موللى : حسن لن أنتظر المناقشة يا عزيزى ميكل وأنت

يامستر تولى ، أرجوكما الصمت لتسعى

الأخبار السارة . أنا وجونى خطيان (يسود

الصمت) وستزوج . هل أصابكم البكم أم ماذا؟

تولى : حسن ، حسن ، حسن اننى لم ، اننى لم . هذا

جميل . تهانى . تمنى أن يؤدى هذا الى تحسن

العلاقات بين انجلترا وايرلندا فى المستقبل

(يخاطب جونى) انا لم تقابل من قبل ، اليس

كذلك ؟ اننى فرح أن تحدث هذه المناسبة

السعيدة فى أول مرة تقابل فيها .

موللى : حسن . وأنت يا ميكل ، اليس لديك ما تقوله ؟

اوربوردن : أجل ، أجل ...

جونى : لقد أذهله الخبر . هيا يا ميكل ولا تقبل لى

انك لم تكن تتوقع هذا .

أوريوردن : اننى آسف بكل تأكيد يا جونى . اننى ... اننى
مريض هذا كل ما فى الأمر .

موللى : ميكل ! ...

أوريوردن : هناك أخبار سيئة عن بعض أصدقاء أعزاء
قتلوا وعن آخرين فى خطر داهم . اننى فرح
بالطبع ، ليبارككما الله .

موللى : كلنا آسف لمتاعبك يا ميكل وتتمنى أن نشاطرك
اياها .

أوريوردن : من فضلك يا جونى ، هل يمكننى التحدث اليك؟
جونى : تفضل . قل ما بدالك .

أوريوردن : كلا ، انى أريد التحدث اليك وحدك يا جونى
هل تسمح يامستر توللى بتوصيل موللى الى
مكان آمن ؟ سيطلق الرصاص هنا عما قريب
أرجوك .

توللى : أوه أيها العزيز . هل سيحدث هذا حقيقة ؟
وهل تأمن على خطيبتك معى أيها الكابتن ؟
جونى : أجل انى أعهد بها اليك .

موللى : سنتقابل عما قريب يا حبيبى . سنتنظر فى الحجرة
المستديرة . الى اللقاء أيها العزيز ميكل .

(تخرج مولى مع توللى)

أوربوردين : هل انصرفا ؟
جونى : أجل . ما الخبر يا ميكل ؟ هل فى امكانى
مساعدتك ؟

أوربوردين : أوه . رحماك يا ربى ...
جونى : ما الخبر يا ميكل ؟ قل لى .

أوربوردين : لقد أعيانى الجهد للوصول الى مخرج من
المأزق الذى نحن فيه . اصغ الى يا جونى .
بعد ما أخبرتنى به عنك وعن موللى لا أجد
أمامى الا طريقا واحدا . طريقا واحدا فقط .
ويجب أن تعدنى يا جونى بأنك ستسلكه ،
عدنى بذلك .

جونى : أى مأزق تعنى ؟ انى لأفعل من أجلك أى شىء
فى الوجود . ما عليك الا أن تأمر .

أوربوردين : يجب أن ترحل من هنا الآن ... فى هذه اللحظة
... وتهرب الى الحدود . خذ أسرع حصان ...
خذ «مايف» فهو قوى نشيط ، واتجه غربا الى
بالليجينى ثم شمالا الى بلفاست ...

جونى : ولكن ، ميكل ... لماذا ... ؟

أوريوردن : استحلفك بالله يا جوني لا تسألني ، ولكن اذهب . يمكنك أن تترك الجواد في أي حظيرة ، ثم اخبرني بالبريد عن مكانه . سأسترجعه .

جوني : ميكل ، انتظر . انك لا تتحدث بعقل . لا تتوقع مني أن أهرب هكذا دون أن توضح لي الأمر أكثر من ذلك . لماذا أسافر ؟ ومتى أعود ؟ أهي مهمة لا يسكن لغيري أن يقوم بها ؟ أها علاقة بالحرب ؟ أم ماذا ؟

أوريوردن : قل لي ، هل تشق بي ؟
جوني : طبعاً .

أوريوردن : اذن فلتسافر في الحال ولا تسألني ... كم الساعة الآن ؟

جوني : الساعة الثالثة اذا كان هذه الساعة القديمة مضبوطة .

أوريوردن : في الحال اذن ... في الحال . يا الهي لم لم أتمكن من اخبارك قبل ذلك ؟ أية قيمة بالله ليمين الشرف مادامت حياة صديق في خطر ؟ لست أدري ، لست أدري أي شيء . لقد ضللت طريقى بكل تأكيد .

- جونى : حياة صديق ؟ مبكل ، ماذا تقصد ؟
- أوربوردين : ألم تقل أنك تثق بى ... ؟
- جونى : أجل ، أثق بك .
- أوربوردين : اذن ضع السرج على الجواد واذهب . ابق فى بلفاست ، بل وأفضسل لك أن تبقى فى انجلترا حتى تنتهى كل هذه المتاعب .
- جونى : أنا آسف ، يا ميكل ، انك لست فى حالتك الطبيعية . يجب أن أعلم أكثر من ذلك ، وبصرف النظر عن أى شىء آخر لقد أعطيت كلمة شرف ... وانت تعلم أنني لن أكسرها .
- أوربوردين : كلمة شرف منك ! انها لن تساوى قلامة ظفر فى نظرى ، ويجب أن تكون كذلك فى نظرك ... ليس الآن !
- جونى : ولكن يجب على أن أحترم كلمتى . لقد ربيت على ذلك ، ولن يحملنى شىء فيما أعلم على أن أكسر كلمتى .
- أوربوردين : اصغ الى ، هل تريد أن تكون موللى سعيدة ؟
- جونى : انك تعلم جواب هذا السؤال .
- أوربوردين : اذن فلتصدقنى يا جونى . اذا كنت لا تريد

كسر قلبها الى الأبد فافعل ما أقوله لك .

جونى : ميكل . لن أزحزح قدمى من هنا حتى تخبرنى
ما معنى كل هذا .

أوريوردن : انك تضيع الوقت ، يا جونى ... يا له من وقت
ثمين ...

جونى : لن أتحرك من هنا يا ميكل حتى تخبرنى ماذا
تقصد بذلك .

(فترة صمت)

أوريوردن : معناه ان حياتك فى خطر . معناه انك ان لم
تهرب الآن فورا فستلقى حتفك خلال ثلاثة
أيام . معناه ان الحقد الأعمى الذى تسببه
الحرب قد أوقع بنا نحن الاثنين فى جباله .
معناه اننى سوف أحتب يمينى الذى أقسمته
للجيش وأن تكسر انت كلمة الشرف التى
أعطيتنى أياها لننقذ ثلاثة قلوب من أن تتحطم
الى الأبد . هذا هو ما أعنيه . بالله عليك ألم
تدرك حتى الآن لماذا يجب عليك أن تركب الى
الحدود بأقصى سرعة مسكنة للجواد مايف ؟

جونى : ولكننى أسير حرب فكيف يمكن أن أكون فى خطر؟

أوريوردن : للتأثر يا جونى ، لمجرد أخذ التأثر . ان التأثر أشنع كلمة فى قاموس الحرب القبيح . لقد أطلق جنود التان الرصاص على ثلاثة ضباط أيرلنديين ولهذا اختير ثلاثة ضباط من الأسرى البريطانيين بالاقتراع ليلحقوا بهم

جونى : وهل تقصد بذلك أن اسمى ... ؟

أوريوردن : أجل ، اسمك . أواه ، يا ربى لم يعجز الناس عن حب بعضهم لبعض ؟ ان الانسان ليعتمد عن ربه اذا حملة الحقد على أن يخز غيره بدبوس أكثر ممن يقضى حياته كلها يرتكب الخطايا بدافع من الشفقة والمحبة ! والآن أيها العزيز جونى ، ألا تذهب . وليصحبك حبي وحب موللى فى رحلتك فيعجل لك الرحيل ؟
(صوت رعد)

جونى : أنا ... أنا لن أهرب يا ميكى . سوف لا ينفذون وعيدهم .

أوريوردن : سينفذه كللى . اننى أعرفه منذ سنين طويلة

وأعرف أن كللى سينفذ . لهذا يجب أن تذهب
قبل أن يبدأ القتال . ألا تفهم ؟ انى واثق من
رجوعه كما أثق فى قدوم الليل . ان قتل سين
كللى يتطلب أكثر من رصاصة يطلقها جنود
التان .

جونى : كلا يا ميكل . لا يمكننى أن أهرب . يجب أن
أقاوم . سأقابل كللى عندما يرجع وسأجد حلا
معه ...

أوريوردن : جونى انك غيبى ، أحمق .
جونى : واذا هربت ، ألا يخزون اسما آخرا بدلا منى ؟
(صمت) أليس كذلك ؟ (صمت) كلا ،
لا يمكننى الهروب .

(رعد ... تبدأ الطلقات ... ثم وابل من
طلقات البنادق)

أوريوردن : يا الهى ، لقد بدأ القتال ! لقد فات الوقت
الآن ! أو ، لماذا لم أخبرك فى الحال . لقد
ضاعت منا أفضل فرصة . لقد أفاتت منا ...

جونى : ما كان هذا ليغير من الأمر شيئا ، يا ميكل ،
لا تلم نفسك فأن الأمر سيان عندى .

أوربوردن : سنجد طريقة يا جوني ... سنجد طريقة . سوف
لا أدع هذا الأمر يحدث حتى لو كان في ذلك
هلاكي . انك مازلت في عهدي ، أذكر ذلك ...
سنجد طريقة . ألا تذهب الآن لتطمئن على
سلامة موللي ؟ ان قنطرة جلاسفت حيث أعدوا
الكمين على مسافة من هنا تقل عن مرمى
البندقية .

جوني : وهل ستأتي معي ؟

أوربوردن : كلا ، سأبقى هنا . أفضل ذأ أبقى بمفردي .
اذهب يا جوني وليساعدنا الله حتى نجد طريقنا
خلال هذا الظلام .

(يذهب جوني - يطلق وابل آخر من
الرصاص . يذهب أوربوردن الى الساحة
وينتصت . وعندما يستمر اطلاق النار
يجلس بجانب قنارته ويعزف - ثم يكف عن
العزف ويستمع ثم يستمر في العزف - يكف
عن العزف ثانية عندما يسمع وقع أقدام في
الخارج) .

جندی النان الأول : (من الخارج) انه كمين دنيء اسرع بنا الى
الداخل .

(يدخل جنديان ٠٠ الأول صغبر منحرف
والثاني أفاق)

جندي التان الثاني : أين هو ، اه ؟

جندي التان الأول : عند الفطرة . ان الميزة الوحيدة لكونك مكشافا
با بنى هي أنه في الوقت الذي يكون فيه الجيش
في كمين تكون أنت في مكان آخر . أدخل من
هذه النافذة وسأدخل أنا من هذه . (يرى
أوريوردن) حسن ، ان الله قد أنعم علينا بيوم
مشرق . من تظنه معنا هنا ؟ غير مسلح اطلاقا
الا من قيثارته الصغيرة .

جندي التان الثاني : من هو ، اه ؟

جندي التان الأول : لا تقل انك لم تتعرف على هذا الوجه ! ألم تره
في الاعلانات الكبيرة ؟ مكافأة ... لمن يقبض
عليه حيا أو ميتا ... صوب بندقيتك نحوه
يا بنى ، انه واحد من النمر .

جندي التان الثاني : كلا ، من هو ؟ أن الاعلانات الكبيرة تبدو
متشابهة لى .

جندي التان الأول : انه ميكل أوريوردن العظيم ، وحيدا بمفرده ،
يحرس مقر القيادة بقيشارة محشوة .

جندى الثانى الثانى : أوربوردين ؟ لعلك لا تقصد بذلك ... ؟

جندى الثانى الاول : لى قصد ذلك، ماذا تفعل هنا يا سيد أوربوردين بعيدا عن المعركة ؟ هل تشكو صداعا خفيفا ؟
(سكوت . خلال هذا المنظر يظل أوربوردين جالسا مثل مدفع الميدان المحشو) أليس لديك شىء تقوله قبل أن تلحق بامبمت وبارنل ، أوليرى ؟ (يقترب منه) يالله ! (يحرك يده بسرعة أمام أعين أوربوردين) يا له من حظ سعيد ! أنظر يا بنى ، انه أعمى !

جندى الثانى الثانى : انه حظ سعيد بالطبع . يمكننا أن نتركه ، اه ؟
سألنى نظرة من النافذة .

جندى الثانى الاول : حيا أو ميتا ، هل نسيت الاعلانات يا بنى ؟

جندى الثانى الثانى : انك لن تقتل رجلا أعمى ، أليس كذلك ؟

جندى الثانى الاول : وه ، ولكن بالطبع يا ولدى سيكون ذلك لمجرد الشفقة عليه (يخاطب أوربوردين) انك لا ترغب فى أن تقضى طول حياتك متعمرا ، مجرد عبء على أصدقائك، أليس كذلك يا سيد أوربوردين ؟
(سكوت) هانت ترى يا ولدى أننا سنودى له خدمة ... وبالطبع سنخدم أنفسنا ، وفى هذا

خير للجميع . قم الآن بالحراسة وأرقب الطريق
الخارجى وتأكد من أن لحظات المستر أوربوردين
الأخيرة فى الحياة لن يزعجه فيها أحد . (يخاطب
أوربوردين) أعتذر اليك عن اطلاق كل هذا
الرصاص . ان الرجل المحفوظ هو الذى يلقى
موتا هادئا .

جندى الثانى الثانى : أقتله الآن بسرعة ، اذا كنت تنوى قتله

جندى الثانى الاول : لا تتسرد يا بنى ، انى أكره أن أذكرك بأنى
ضابطك الأعلى . وبعدهما سببه لنا أوربوردين
من متاعب ، أظنه لا يتوقع موتا سريعا سهلا .
... أليس كذلك ؟ لن يكون هذا عدلا وأنا
حريص على العدالة ، كما أنه ليس من شك فى
أن المستر أوربوردين كاثوليكي ؟ وانى لأتساءل
متى تقدم آخر مرة للاعتراف ؟ سوف يحتاج
الى دقيقة أو دقيقتين يحاول فيها نوعا من الندم =
والتوبة . ربما ؟ وربما هو يشعر بالأمن ، وقد
يرحب بتجربة مشيرة أو تجربتين فى آخر حياته
لمجرد أن يثبت لنا قوته . دعنى أتبين ذلك ...
ما هى السبع خطايا الميئة ؟ أليست الكبرياء

أولها ؟ (يصفع أوريوردن بنذالة على وجهه)

تنبأ لنا يا أوريوردن ، من الذي لطمك ؟

جندى النان الثانى : كفى ، يجب أن نترك في القتال ؟

جندى النان الأول : كلا ، كلا ، اننا أعظم نفعاً ونحن أحياء .

ما أحببت الضجيج قط (سكوت) اذن فالمستر

أوريوردن ليس لديه ما يقوله . ولا كلمة

واحدة . لا شيء بخصوص ارين ، كاتلين في

هولييهان ولا العلم الأخضر ؟ (يسمع دوى

الرعد) ما الذى يقوله الرعد ؟ انه لا يحصل

رسالة منك . حسن ، حسن ان لكل شيء جميل

نهاية والحياة ، كما يقول البعض ، شيء جميل .

جندى النان الثانى : استحلفك بالله دعنا نخرج من هنا . لقد وقف

ضرب النار ... وسوف يعودون .

جندى النان الاول : سوف يعودون فعلا . من الأفضل ألا نستعمل

البندقية — انها تحدث ضوضاء . ان استخدام

الصلب البارد أفضل وأقدر على القاء الرعب في

القلوب ، ألا توافقنى على ذلك أيها السيد

أوريوردن ؟ (يضع حد السكين على رقبة

أوريوردن) إن السلاح الأبيض يوقع رعباً أشدأ .

(تنبعت من أوريوردن صرخة عظيمة ثم يميل
الى جانب ويمسك بذراعه ، وبحركة مصارع
مفاجئة يرفع التان من فوق رأسه ثم يلقي
به الى الأرض فينطرح على ظهره فوق المائدة
مبعثرا كواكب شمس من الملائق)

جندى التان الثانى : (يهجم على أوريوردن ويقعان معا فوق أرض
الحجرة) ... (ينهض التان الأول واقفا على
قدميه) .

جندى التان الاول : امكه يا بنى . استمر فى الامسالك به حتى
أقتله

(يظهر جوني راكضا على السلم والبنديقية
فى يده)

جوني : ابقوا حيث أتمم وارجموا الى الخلف حتى
الحائط .

(يتقهقر التان الاول ثم ينهض التان
الثانى ويتقهقر معه . ينهض أوريوردن
ويتحسس طريقه)

جوني : حسن . اثبت فى مكانك يا أوريوردن . (يذهب
الى أوريوردن ويجلسه فى مقعد وهو لا يزال
مصوبا البنديقية الى التان) شكرا لله فقد سمعت
القرعة . من أين أتى هذان السفاحان ؟

أوريوردن : لست أدري شيئا .

جندي الثان الأول : انك ضابط بريطاني ؟ والا فلماذا ترتدي هذه الملابس ؟

جونى : انى كذلك .

جندي الثان الأول : حسن ، ان هذا من حسن حظنا ، هيا يا ولدى ودعنا نتصرف .

جونى : بل ابقوا حيث اُتتم وأرفعوا أيديكم .

جندي الثان الأول : هل انحزت الى جانب الأعداء ؟

جونى : ليس لى من أعداء الآن الا اُتتم وشباهكم .

جندي الثان الأول : حسن لقد رُسلنا الى هنا والله لنساعدكم على أداء مهنتكم ، فدعنا نتصرف . سيمودون الى هنا فى أية لحظة .

جونى : ابقوا حيث اُتتم (يلقىان بسيفيهما) حسن ماذا

تريد أن أفعل بهما يا أوريوردن ؟ انهما نسيراك .

أوريوردن : لست أدري على وجه التحديد . ماذا أريد بهما ؟ ان بضع دقائق فى صحبتيهما كمدى الحياة تقريبا .

جونى : لا فائدة من تركهما أسرى بضمان كلمة الشرف .

جندي الثان الأول : نم لا تجرب ذلك . انك لن تظل تصوب هذه

البندقية الينا الى الأبد أليس كذلك ؟

جندى النان الثانى : سوف يرجعون يا صاحبي ولعلك لا تنوى

تسليتنا الى كللى أليس كذلك ؟

أوريوردن : ومن قال لكما ان كللى هنا ؟

جندى النان الاول : ان المصافير فى جانبنا أيها السيد أوريوردن .

أوريوردن : يا الهى ، ألا يمكننا أن نحتفظ بسر ! دع الريح

تهب فوق رؤوسنا وسيعرف الناس الوقت

بواسطة أفكارنا البيضاء التى يدفعها الريح

أمامه .

جونى : حسن يا أوريوردن ، ماذا سنفعل بهما ؟ انها

مشكلة معقدة فى الواقع .

جندى النان الاول : ليست هناك أية مشكلة على الاطلاق . دعنا

نتصرف . لا يمكن أن نكون أسرى المستر

أوريوردن فهو لم يعد جنديا الآن، كما لا يمكن

أن نكون أسراك لأنك من جيشنا وفى جانبنا

جندى النان الثانى : هلم أيها الصاحب ف سوف يرجعون .

أوريوردن : دعهما يذهبان . دعهما يذهبان . افتح الأقفاص

كلها ، فحتى العقور لها حق التنعم بالفضاء .

اهربا .

كللى : (من الخارج) ميكل !

جندي الثانى الاول : هيا يا ولدى ، سر فى طريقنا (يسمع وقع أقدام)
كللى فى الخارج) ما هذا ؟ الى الباب الآخر .
أسرع .

كللى : (داخلاً بسرعة فيرى الثانى) ها هذا بحق
السماء ... فليقف كل منكما ثابتاً فى مكانه
(يصبو اليهما بندقيته) وكيف أمكنهما
الأقلام من شباكى ؟

اوربوردن : انهما من فرق الكشافة . لقد سمعتهما يقولان ،
ذلك . لا بد أنهما عبرا النهر عن طريق المخاضة
القديمة .

كللى : (منادياً) سكانلون !

سكانلون : (من بعيد) ها أنا قادم يا سيدى !

كللى : عن أى موضوع كنتم تتحدثون عندما كنت أنا
فى الخارج ؟ من كان فى جانب من ؟

اوربوردن : لقد أتخذ جوني حياتى .

كللى : (ببرود) اذن لقد سبقنى كابتن تريجارثن الى
اتخاذك ، أليس كذلك ؟ يبدو أن ولاءه مختلط :

جوني : لقد أعطيت كلمة شرف بأن أبقي أسيراً هنا ،

- ومعنى هذا أنه لا يمكن أن أقاتل ضدكم .
- كللى** : وهل لا يعنى اليمين الذى أقسمته لجيشكم أنه لا يمكنك أن تقاتل فى صفوفنا ؟
- جونى** : هل كنت تفضل أن أدع أوربوردن يقتل ؟ (يشير هذا الرد حنق كللى وغضبه ... يدخل سكانلون) .
- كللى** : طائران شريدان . خذهما وضعهما فى قفص .
- سكانلون** : يا الهى ا كيف تمكنا من الوصول الى هنا ؟
- كللى** : ترى ، هل يمكنك اطاعة أمر دون توجيه أسئلة؟
- سكانلون** : آسف يا سيدى . ولكنهم رجعوا الآن بجثة كفن يرون من الجانب الآخر من القنطرة . لقد كان الآب جون بجانبه عندما أسلم الروح .
- (يف كلى جامدا ، وقد كاد ينفجر من الغيظ)
- لوربوردن** : (متمتنا) كفن ... فليهب الله الراحة لنفسه .
- كللى** : خذ هذين الاثنين الى الكوخ . سوف أحضر لاستجوابهما .
- سكانلون** : فى الحال يا سيدى ، خذ هذا الطريق أتما الاثنين .

(يخرج سكانلون والجنديان)

سكانلون : (من الخارج) هاى ديرموت ، ساعدنى فى .

حراسة هذين الجنديين .

ديرموت : (من الخارج) سأتى اليك حالا .

كللى : (مخاطبا جونى) هل تُخبرك القائد أوربوردين

عن مصيرك ؟

جونى : لقد قال لى ...

كللى : حسن .

جونى : ولكن لا يمكن أن أُصدق أن الايرلنديين يقتلون

أسرى الحرب .

كللى : آسف لأن تُثقتك فى غير محلها . لك أن تسمى

ذلك قتلا اذا كان فى هذا بعض العزاء لك .

سيكون موعد التنفيذ بعد غد : السبت ، فى

الساعة السادسة صباحا ، ومكانه هنا . هل هذا

مفهوم ؟

جونى : (يومىء برأسه) أجل .

كللى : سأخذ بنفسى كل الترتيبات يا ميكل ، فلا حاجة

لأن تشغل نفسك بهذا الأمر ، وفى الوقت نفسه

سيبقى كابتن ترجارثن أسيرك .

أوريوردن : سبين ..

كللى : على الآآن أن أستجوب صديقى (الكابتن) ثم
أرفع تقريرى الى هيئة القيادة . لقد أحرزنا نجاحا
فيما أفطن ، ولكننى أختنى ألا تعتبره زوجة كيف
برن كذلك .

(أثناء الاحاديث العليلة الاخيرة تدخل مولى
الى قمة السلم . عندما يستدير تولى يراها .
ينظران الى بعضهما لحظة ثم يخرج كللى
بسرعة)

مولى : ميكل ، عزيزى ...

أوريوردن : مولى ...

جونى : مولى ، لقد قلت لك ألا تتبمنى .

مولى : ميكل ، هل هذا صحيح ؟ يا الهى ، لا يمكن أن
يكون ذلك صحيحا !

أوريوردن : جونى ، ألم تخبرها ؟

جونى : كان على أن ...

مولى : بالتأكيد ، لقد كان عليه أن يخبرنى بالطبع . لقد

أدركت أن شيئا فظيحا كان يهددنا جميعا عندما
أبعدتنى . ماذا نستطيع أن تفعل يا ميكل ؟ أليس
كللى صديقك ؟ ألا يفعل ما تطلبه منه ؟

أوريوردن : أجل إن سين كللى صديقى ، وانه ليفعل أى شىء فى العالم من جنى لو أن الأمر يخصه وحده . ولكنى أوكد أنه لا يقدر على تعبير هذه الأوامر ، أو على الأقل هذا ما سوف يقوله .

موللى : ولكنك اذا طببت منه ...

أوريوردن : كلا ، يا موللى ، انى أعرف ما سيقوله : « اترك الأمر لى يا ميكل ، ولا تزعج نفسك » لقد كان عنده دائما هذا الاحساس الواقى الغريب طول مدة الحرب وهو الآن أسوأ بالطبع ، انه ليعرف ما يجب عمله فيعمله دون أن يحتمنى عبئه . ان شفقتة هذه ستفنى علينا جميعا .

موللى : اذن فماذا سنفعل ؟

أوريوردن : عليا أن نجد الجواب على هذا السؤال بأنفسنا . يجب أن نمهد لجونى أسباب الفرار فيما بيننا .

جونى : ولكنك يا ميكل قد سمعت ما قاله كللى . انى أسيرك ، ولا زالت كلمة الشرف تقيدنى . لأبد أن يكون هناك استئناف لهذا القرار ؟

أوريوردن : بالله عليك انس كلمة الشرف . انك لن تستطيع أن تترك هذا النسيج من الكلام يوقع بك

كالذباية ويقتلك . أما عن الاستئناف فيمكننى
أن أقول لك انه مضيعة للوقت ، فان قتل ميغل ،
وأوشيا وكيو سيجعل الجيش يغلى من الفيض
عدة أسابيع . لن يقدر أحد على مساعدتنا سوى
أنفسنا .

موللى : جونى ، لا تكن أحقر يا حبيبي . أليست كلمة
شرفك معطاة لميكل ؟ فى امكانه أن يردّها اليك
ثانية .

أوريوردن : وها أنا أفعل . ولكن هذد أول هدية زواج
لكما .

جونى : ولكن ، ما مصير الاسم الثالث يا ميكل ؟ ان لم
يكن اسمى فسيكون اسما آخر لشخص سواى .

أوريوردن : جونى ، انك لن تعرض نفسك للقتل لمجرد أن
شخصا آخر قد يموت ان لم تمت أنت . ليس
هذا فى أيدينا . كل ما يمكننا عمله هو أن نزرع
الى الله سبحانه وتعالى حتى لا يقاسى أى شخص
آخر . ان سلامتك وحياتك وحبك هى التى فى
أيدينا فلنكف عن الحديث ، والا فان فى الحديث
هلاكنا جميعا .

جونى : انت تعلم يا ميكل أن الأمر ليس بهذه السهولة ،
وانى أعرف تماما ماذا كنت تفعل لو كنت فى
موقفى .

أوريوردن : كنت قد فررت بكل تأكيد الآن .

جونى : ما كنت تفعل ذلك ، بل كنت تتعرف كما
أتصرف . انى أعرفك يا ميكل . انك لتتفخر بأن
كلمة الشرف التى تقطعها على نفسك تربطك
برباط أقوى من القضبان الحديدية . قد تهرب
من سجن ، ولكنك لن تهرب من كلمتك ، أليس
كذلك ؟

أوريوردن : بالله يا جونى، من تظننى؟ أقسم بالله ، كنت أركب
نحو الحدود ، ولتنزل على اللعنة اذا ما حاول
أحد أن يمنعنى من الهروب .

موللى : لقد كنت أفكر فى مختلف الطرق والوسائل بينما
كنتما تتحدثان . والآن استمعا الى . لا جدال فى
أنتى وجونى سرحل الآن الى انجلترا .

جونى : موللى ...

موللى : والمشكلة الوحيدة هى : ما هى أحسن الطرق
لتحقيق ذلك ؟ (تخاطب جونى) اننا نقفز بعيدا

إذا اقتلعت الريح شجرة فوق رؤوسنا ، وهذا هو موقفنا الآن تماما دون أي فارق . ميكل ، كيف يمكننا أن نهرب ! هل في الامكان أن يركب جوني ويرحل في الحال ؟

جوني : ليس الآن ، فلنقد وضعت الاسطبلات تحت الحراسة منذ أن بدأ القتال ، ولا يزال بعض جنود الناز في هذه الأثناء .

موللي : هل يمكنه السفر بالقطار ؟
أوريوردن : أخشى أن تكون المحطة مراقبة أيضا .

موللي : ألا يمكنه ركوب القطار عند المنحدر ، حيث يبطيء ، كما تعلم ، على مسافة قصيرة من المحطة؟
أوريوردن : يمكنه ذلك ...

موللي : ان قطار البضاعة ، يا ميكل ، يمر غدا صباحا في الساعة السادسة ، « وتيم » العجوز ، حارس القطار ، يعرفني منذ بدأت أتعلم السير على قدمي ، وسيفعل أي شيء من أجلي . استمع الي ما سأقوله لك يا جوني . سأسافر جنوبا الي كاستلدون بقطار المساء لأقابل « تيم » العجوز وأخبره بأنني سأسافر شمالا معه في قطار الصباح

كما سأخبره بكل ما يحتاج الى معرفته منى .
جوني : يا لك من حبيبة .

موللى : أما أنت يا جوني فيمكنك ان تلحق بنا عند

المنحدر خلف المحطة فى الساعة السادسة من صباح غد . سأحمل السائق — وهو « بارنى دونان » زميل « تيم » — على أن يبطىء من سرعة القطار عند المنحدر حتى تهبط الى سرعة السير على الأقدام . قد يكلفنى ذلك بعض المال .

أوربوردين : آه ، بكل تأكيد ، فإن نصف ريال فى جيبه سوف يخرس ضميره .

موللى : وسأعطيك اشارة يا جوني ، لأخبرك بأن كل

شئ على ما يرام وبأنتى فى القطار . سنجعل الاشارة ثلاث صفارات ، وعليك فور سماعها أن تقفز الى عربة الحارس وستجد « تيم » قد أعد فنجانا من الشاى لك ولى .

أوربوردين : هذه خطة حكيمة وسأهتم بتنفيذها . سوف

أكتشف بكل حيطة وحذر من سيكون قائما على الحراسة من الجنود فى الوقت الذى يتعين فيه على جوني أن يسافر ، وسأعمل على ابعاده .

فان كان الحارس « ديموث فون » سار كل
 شىء على ما يرام وأظن أنه هو القائم على
 الحراسة فقد سمعته يشكو من الحراسة فى
 الفجر . واذا لزم الأمر فاستخدم نفوذى
 وسلطتى ، ولكنى سأحاول ألا تقابل أحدا .
 سيكون « سين كللى » مسافرا ، فيسافر اليوم
 الى مقر القيادة ليقدم تقريره ولن يعود — مها
 كانت الظروف قبل ظهر الغد ، وستكون أنت
 وبتتذ قد قاربت الوصول الى بلفاست .

لا بد أن شيئا قد حدث لى ... انى أتكلم عن
 بلفاست بكل حنان وشفقة !

موللى : (ضاحكة فى عصبية) فليباركك الله يا ميكل ،

ليباركك الله . أوه ، لقد بدا العالم يصفو فى
 ناظرى من جديد ! انى لأضرع الى الله أن تسرع
 الأرض فى دورانها حتى يأتى الغد فى وقت قريب !

أوردوردن : قد تعلمين أنه يخيل الى فى بعض الأحيان وأنا

غارق فى الظلمة المحيطة بى أن فى امكانى أن أرفع
 ذراعى الى فوق وأن أقرأ النجوم كما لو كانت
 صفحة مكتوبة بطريقة برايل وأعرف منها

المستقبل . هل أحاول الآن أن أقرأ لكما
المستقبل ؟

مولى : أجل ، أ فعل !
أوريوردن : لا يمكننى الوصول إليها .

(يضحكون • يسقط أوريوردن يديه ويمسك
بملعقة باقعة على المنضدة ويلعب بها بين
أصابعه دون اهتمام)

مولى : حسن . ما بالك واجما هكذا يا جونى ؟ استيقظ
يا حبيبي ، اتعش واستقبل الحياة .

جونى : مايكل ، ماذا يمكننى أن أفعل ؟ انتى ... انتى
لا زلت مهموما بسبب ذلك الاسم الثالث . وهل
لا يوقعك هروبي فى مشاكل خطيرة ؟

أوريوردن : يا للقديسين ! هل أنت مجنون أيها الرجل ، أم
ماذا ؟ أؤكد لك أن بقاءك هنا هو الانتحار بعينه ،
فاذا كنت تريد الموت فانتظر حتى يرجع «سين» ،
أما اذا كنت ترغب فى الحياة فسافر ! انى آسف
يا جونى ، وأقدر حقيقة مشاعرك ، نعم فأنا نسى
أحسن بالشعور نفسه . ولكن يمكنك أن تراهن
بآخر ما تملكه على أننى كنت أقنع نفسى

بوجوب السفر ! هلم اذن يا جونى ونفذ
ما نشير به عليك . اسبح مع التيار ، أيها
الرجل لن يصيبنى مكروه عندما تذهب ، لهذا
لا تبتس .

موللى : جونى ، جيبى ، هذه هى الخدمة الوحيدة التى
سأطلبها منك طول عمرنا . الحق بالقطار يا جيبى
أرجوك اركب القطار.

جونى : (بعد برهة وفى تعاسة) فليكن .

أوريوردن : حسن ، لاشئ يجعل الانسان تعسا مثل الأخبار
الطيبة ! هيا يا موللى وأحضرى لنا شيئاً من
المشروب الذى يضعه تولى فى الدولار .
سنشرب نخب أنفسنا وندخل السرور الى قلب
جونى .

موللى : سنفعل ذلك (تحضر المشروب والكنوس) هيا
يا جونى ، ان هذا سيشرح صدرك . لن تفشل
خطتنا بعد الآن . ألسنت أنت الضابط العظيم
يا ميكل عندما يكون « كللى » غائباً ؟

أوريوردن : أجل .

موللى : حسن ، فلن نخشى شيئاً اذن . هيا ياميكل

(تعطيه كأسا) ، لشرب نخب الغد ونخب قطار
البضائع الذاهب الى بلفاست . (يشربون) .

أوريوردن : آه ، بالتأكيد ، هذا حسن . ان توللى الصغير له
ذوق فى اختيار المشروب ، هذا حق ، . اعطنى
كأسا أخرى (تصب له موللى كأسا) وهذا
نخب قارب البريد من بلفاست الى ليثربول .
(يشربون) .

موللى : ألا تشعر بأنك أحسن حالا الآن ، يا جونى ؟

جونى : انى أشعر كما لو كانت رأسى ترتفع فوق كتفى
بثلاثة أقدام . أى نوع من المشروب فى تلك
الزجاجة ؟

أوريوردن : مجرد ويسكى أيرلندى جيد . اعطه كأسا أخرى .

جونى : وهذا نخب المزرعة التى فوق « تلال بروم » .

موللى : أجل .

أوريوردن : المزرعة التى ستصبح موطننا لكما ، أليس كذلك؟

حسن فليهبها الله حبا عظيما وبهجة . (يشربون)
هل تعرف أنه لم يسبق لى أبدا أن ثملت فى مثل
هذا الوقت القصير ؟ ان الويسكى والاستشارة

كفيلان بأن يذهب بأفضلنا الى ما تحت المنضدة .
 بالله اننى لم أتناول طعام الغداء بعد ! حسن ،
 علينا أن ننصرف (يجرع باقى الكأس ويضئ
 بسرعة كبيرة مقطعا من أغنية «ذى بالتين دوثر»
 ثم ينوقف فجأة) لا بد أن نكون قد جننا والله !
 ان « سين » سوف يعود . اختفيا عن الأنظار ،
 وابدئ هذه الخمر من هنا . (تفعل موللى
 ذلك) انه لتصرف عجيب من أمثالنا . موللى
 يحسن بك أن تعدى العربة حتى تلحقى بالقطار،
 ولا تدعى « سين » يراك مع جونى .

موللى

: سوف لا ندعه يرانا . من الأفضل أن نودع بعضنا
 الآن . أراك بخير أيها العزيز ميكل ، وأشكر لك
 كل ما فعلت من أجانا . (تقبله فى خفة . ثم
 تخاطب جونى) حتى صباح الغد يا أعز مخلوق
 لدى . ان صفارات القطار الثلاث ستظل تدوى
 فى آذاننا ، كرمز للخلاص العظيم ، حتى يوم
 وفاتنا . فليباركك الله ، يا حبيبي ، وأرجوك
 الاهتمام بنفسك .

: سأفعل ذلك (يقبلان بعضهما) .

جونى

مولى

: سوف نردد هذه الكلمات بمعنى آخر فى وقت قريب . (تذهب الى الباب) سيمود « تيم »
بالعربة عندما يتحرك بى القطار . (تجرى فجأة نحو جوني — تقبله قبلة طويلة يائسة — ثم تركض خارجة) .

(يرقبها جوني من النافذة ... فترة صمت .
ثم يجلس حزينا وفجأة يضع رأسه بين يديه)

جوني

: يا له من وقت طويل .

أوريوردن

: انها ليلة قصيرة فقط .

جوني

: ساعدنى على أن أفك عن التفكير يا ميكل والا فاست مسئولا عما أفعل . انى لم أشعر بمثل هذا الخوف فى حياتى .

أوريوردن

: لا تزعج نفسك الآن وسأخبرك بما سنفعل .
تعال ونم على الأريكة فى حجرتى الليلة . سننام بالدور وتقوم على الحراسة بالتناوب حتى منتصف الساعة الخامسة ، وبعدها سأدبر أمر خروجك سالما من الأبواب ثم تصبح حرا طليقا .
انه لأمر فى منتهى البساطة . سيكون « كللى »
غائبا ولن يعود حتى وقت الظهر ، وفى هذا

الوقت تكون قد اجتزت وادى الظلال . هيا بنا
نلمب الشطرنج لنقتل الوقت .

جونى : أجل دعنا تفعل ذلك . انى خائف يا ميكل . أشعر
بخوف مبهم . ان قلبى يدق كالمطرقة وتسرى
البرودة فى جسدى كله ... رحماك يا ربى !

أوريوردن : لا تعذب نفسك . سنضحك من كل ذلك غدا
عندما تصبح رجلا آخرأ تماما . سيهدىء الزمن
من روعك ، عليك أن تجلس ساكنا وأن تدع
الساعات تمر عليك فى سهولة ويسر وسيطلع
عينا الصباح قبل أن تنتبه الى ذلك ، والأجدر
بك أن تختفى الآن حتى يسافر كللى وهو على
وشك الرحيل . اذهب الى حجرتى ، وسألحق بك
هناك فمن الأفضل ألا يرانا أحد تتحدث معا .
يخيل الى أنى أسمع « كللى » يصود الينا ...
عجل بالانصراف .

جونى : آسف لازعاجك .

أوريوردن : هيا ، ابتعد ، اسرع .

(يصعد جسونى الى فوق ... يجلس ميكل
هادئا ... يدخل كللى وسكانلون) .

- كللى : ان أصفر ضيفك يا ميكل رجل منفر جدا .
أوريوردن : انه كذلك .
- كللى : ولم يكن أكثر لطفا عندما تركته . أوه ، لقد كان
ذليلاً الى حد ما . أما الضيف الآخر فكان غيبا
بليدا .
- سكانلون : آه ، لقد كانا زوجا من الوثيين ، اثنين من عبدة
الأعنام .
- كللى : (يشاهد كللى الكئوس على الدولاب ويرى في
احداها بعض الويسكى) أتشرب الخمر في هذه
الساعة المبكرة من النهار يا ميكل ؟
- أوريوردن : حسن ، ان هجوم التان قد أفرغنى .
- كللى : وهل تركت هذا الكأس مازنا من أجلنى ؟ . هذا
كرم منك . ليباركنا الله (يشرب الكأس) سأسافر
في الساعة الخامسة يا ميكل وسأعود غدا .
- أوريوردن : وهل ستقابل القائد العام ؟
- كللى : سيكون هناك طبعاً ، وسأقابله .
- أوريوردن : هل تسمح بنأدية خدمة من أجلنى اذن ؟
- كللى : سأفعل طبعاً ، أية خدمة ؟
- أوريوردن : أطلب منه العفو عن جونى .

كللى : سأطلب منه ذلك ، ولكن لا يمكننى أن أعدك بشيء ، فلا أمل هناك على الإطلاق . انك تعرف القائد .

أوريوردن : أجل ، أعرفه ، ولكننى أرجو أن تسأله ، هل تسمح بذلك ؟ ... عدنى .

كللى : أعدك بذلك ولكنه جيد ضائع . بالله عليك لا تعلق أى أمل على هذا الرجاء .

أوريوردن : كلا ، لن أعلق الآمال على ذلك . لن أفعل . سأذهب لأنام فانى لا أشعر بأنى فى صحة جيدة . سأراك غدا يا « سين » .

كللى : غدا يا ميكل . (يخرج أوريوردن) ان ميكل متأثر جدا لهذا الأمر .

سكانلون : متأثر بخصوص أى أمر أيها الرئيس ؟

كللى : ألا يمكنك فهم أى شيء لأول مرة ؟ بخصوص حكم الاعدام على كابتن تريجارثن .

سكانلون : وهل يعرفه ، أم ماذا ؟

كللى : لقد ظل ثلاثة أشهر أسيرا تحت حراسة ميكل .

سكانلون : يا الهى ! أهذا هو الشخص الذى يعيش هنا ؟

وهل سنسير بهذا الأمر الى نهايته اذن (يستدرك

في عجلة) . أجل ، أجل بالطبع انه لاحظ سيء .
حظ سيء .

: هل نسيت « كيو » و « ميغل » و « أوشيا » ؟
وهل نسيت « كيشن بيرن » ؟ ... كيشن بيرن !
(يلتقي بما تبقى من ملاعق على الأرض . وقد
تقلصت أطرافه من الحنق والغیظ) لست أدري
والله لم كتب الموت عليه هو دون خلق الله
أجمعين ؟ وهل قدر على أن أبقى في الحياة
وحيدا بينما يموت آخر صديق لي ؟

كللي

: (في حياء) اني ما زلت بجانبك ؛ يا سيدي .
: (متجاهلا اياه) لم يبق لي في الحياة غير ميكل ؛
وهو أعمى أشل . سأوقف عليه الآن كل حبي ،
وليس من شيء تحت الشمس لن أفعله من أجله .
(يخاطب نفسه) ترى ما هي أعلى أمنية لك في
الحياة يا ميكل ؟ اني أعرفها وسأحققها لك ،
أقسم بالله اني سأحققها لك حتى لو كلفني ذلك
فقد حبك الى الأبد . (فترة صمت) ولكن يجب
أن أجنب ميكل غناء حضور تنفيذ حكم الاعدام
منها كان الثمن .

سكانلون

كللي

سكانلون : أجل ، با سبدي . أهو مغرم بهذا الرجل
الانجيزى الى هذه الدرجة ؟

كللى : (متجاهلا سؤاله) لقد قلت له ان وقت التنفيذ
قد تقرر أن يكون صباح السبت ، لذلك سيتوقع
ميكل أن يكون تنفيذ الحكم فى هذا الميعاد .
ولكننى سأقدم موعد تنفيذ الحكم . سأجعله
غدا . أجل ، سأجعله فى الغد . سأعود مبكرا
قبل أن يستيقظ ميكل . ان حجرة تريجارثن فى
الجانب الآخر من القصر ، ولن يدري ميكل
بشيء الا بعد تنفيذ حكم الاعدام . أجل ، هذا
ما يجب أن يكون .

سكانلون : سيكون هذا قاسيا على الرجل الانجيزى بكل
تأكيد . لعله يرغب فى رؤية الكاهن قبل الأعدام ؟

كللى : سعطى الفرصة لكتابة رسائله الأخيرة ولعمل كل
ما يريد ، ولكن لن يسمح له برؤية ميكل ، وبهذا
سنوفر على ميكل عناء ما لا بد أن يحدث .
سوف يعلم فقط عندما يكون كل شيء قد انتهى .

سكانلون : فى هذا قسوة على الرجل الانجيزى .

كللى : (ببرود) ان ميكل وحده هو الذى يهمنى . ان

سلطة أعلى من سبطنا هي التي قضت باعدام
تريجارثن (يخاطب نفسه) وأسباب أخرى ...
أسباب أخرى .

سكانلون : أسباب أخرى يا سيدي ؟

كللي : (يدقق النظر فيه للمرة الأولى) هل أنت
الرجل الوحيد الذي بقي معي ؟ هذه هي الوحدة
بعينها .

سكانلون : ما هذا يا سيدي ؟

كللي : لا أهمية لذلك . سأرجع غدا مبكرا . هل هذا
مفهوم ؟ سأحضر معي فرقة الرماة . لا حاجة بك
الى أن تخبر أحدا من هنا بذلك . سوف نوقظ
كابتن تريجارثن من نومه عندما أعود ، وسنخبره
بالتغيير الذي طرأ على الخطة ، أما الآن فيجب
على أن أذهب الى مقر القيادة .

سكانلون : متى أتوقع مجيئك يا سيدي ؟

كللي : في أي وقت قبل السادسة صباحا . عين حرسا
على الأسيرين الاثني من جنود التان .

سكانلون : سأفقد ذلك يا سيدي ، وسأستيقظ مبكرا
لأستقبلك غدا .

(ينتظر سكانلدون لحظة متلهفا على أمل سماع
كلمة مدح • ينظر إليه كللى بعينين حامدتين
كالهجر ... يخرج سكانلدون • ينتظر كللى
ويطيل النظر. فترة طويلة الى حيث ذهب
أوريوردن ... يدخل شاموس • لا يرى كللى
ولكنه يرى الملاعق المبعثرة)

شاموس : يا لله ، من ذا الذى أوقع بكل هذه النجوم من
السماء ؟

تسلسل السننار

الفصل الثالث

اليوم التالي ، حوالي الساعة الخامسة والنصف صباحا .
المرح مطلق .
(يدخل الحارس الأول من الخارج . يفتح الستائر . يدخل
صوت الفجر اتقوى ومعه ضوء الفجر الباهت . يدخل الحارس الثاني
والنعاس في عييه)

الجندي الأول : أوه ، يا ديرموث ، هل استيقظت أخيرا ؟ ألا تعلم
أنه قد مضت عشر دقائق الآن منذ أن بدأت في
ايقاظك ؟

الجندي الثاني : أود ، أهذا كل ما في الأمر ؟ وما قيمة هذه
الدقائق العشر اذا وزنت في ميزان الأبدية ؟

الجندي الأول : اذا وزنت بميزان حارس الليل سنجدها فترة
طويلة جدا . ان سكانلون قد استيقظ ، وهو
ينتظر بك بجوار القنطرة ! اذهب اليه هناك ودعني .

الجندي الثاني : اصغ !

الجندي الأول : ما هذا ؟ اني لا اسمع شيئا .

الجندي الثاني : انه المعنفور الأول نفسه الذي استيقظ ...

سكانلون؟ ترى ماذا عساه يفعل هناك وهو يلوث
نسيم الصبح النقي؟ ألا يمكنه النوم أبدا ما دام
معبوده كल्ली غائبا عنه؟

الجندي الأول: فليذهب الى الجحيم . ان الشمس توشك أن
تشرق ، ومعنى هذا اننى لن أتمكن من النوم .
لم لا يمكنك ، بحق السماء ، أن تستيقظ عندما
أناديك؟

الجندي الثاني: كسل ، أيها العزيز ، مجرد كسل . لا يمكن
لإنسان أن يتحلى بكل المواهب . والقفر من
الفراش ليس صفة من صفاتي . اننى والديك
آخر من نستيقظ دائما .

الجندي الأول: حسن . انى ذاهب الى فراشى ، فليس لدى
ما أفعله هنا فى الخارج .

الجندي الثاني: ألم تلاحظ أبدا ما عليه الديك من كسل؟ فعندما
ينجلى الليل تسمع أول عصفور يغرد والنماس
لا يزال يداعب جنونه ثم يتبعه آخر ثم آخر حتى
يصحو الجميع ويفردون معا فرحا بانبلاج
الصبح . وبعد كل ذلك ، يصحو الديك ويوقع
الرعب فى قلوب المتسافرين كلها بصوت يشبه

طلقات الرصاص . وفي الفجر يسمع صوت
وابل من الرصاص تطلقه حنجرة كفوحة البندقية
لطاقر أحمر .

الجندي الأول : أفضل أن تأتي معي وتحدث الي حتى يغلبني
النعاس . اني في حاجة الي معونتك .

الجندي الثاني : لا يمكن لأحد أن ينام عندما أتحدث أنا . هذه
موهبة أيها الرجل . انها موهبة .

الجندي الأول : حسن ، طابت ليلتك ؛ أتمنى لك حراسة هادئة .

الجندي الثاني : صباح الخير . ستكون حراسة مصحوبة بالصخب

والضوضاء ، بكل تأكيد ؛ ما دامت كل هذه

العصافير ستصحو كما يصحو الديك آخر الأمر

(يخرج الحارس الأول - الحارس الثاني ...

انه ديرموث مون ، صديق أوريوردن . وأحد

سكان الجزر الغربية - يطن في الناعدة لحظة

طويلة نم يستدير في تكاسل مممما . هل

يمكنك اعارتي زوجتك لمدة ساعة وربع .

أوه ، باللبيرة الصفراء ذات اللون البسي ...

يظل يغني وهو واضح يده على الباب)

أوريوردن : (يهمس من فوق السلم) ديرموث .

ديرموث : ميكل ! بالله عليك ، هل لم تستطع النوم ، أم

ماذا ؟

- أوريوردن** : ديرموث ، هل يوجد أحد غيرك بالقرب منك ؟
- ديرموث** : كلا ، لقد ذهب فيليم .
- أوريوردن** : هل يمكننى طلب معونتك ؟
- ديرموث** : يمكنك ذلك طبعاً . ما عليك الا أن تأمر . لعلك تطلب منى المساعدة فى اخراج صديقك تريجارثن سالما من هنا . أليس كذلك ؟
- أوريوردن** : فليساعدنا الله . هل أصبحت أفكارى واضحة هكذا على قسماات وجبى ؟
- ديرموث** : واضحة لى أنا فقط أيوا العزيز ، لقد كنت دهشا الى متى سيطول بك الوقت قبل أن تطلب منى ذلك . صه ! كف عن الكلام لحظة . كلا ... لقد ظننت فيليم عائداً رغم أن الله وحده هو الذى يعلم لماذا يعود فمن المؤكد أن النوم هو أحب شىء الى نفسه فى الوجود . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟
- أوريوردن** : (مناديا بصوت خافت من فوق) جونى !
- (ينزل جونى) هذا هو « ديرموث فون » - -
- انه سيساعدنا . ألم أقل لك انه سوف يساعدنا ؟
- ديرموث** : آد ، بالتأكيد ؛ لقد تبادلنا التحية معا قبل الآن

- في الخيلة وستصبح أصدقاء قداماء منذ اليوم .
- جونى** : نعم ، وأشكرك .
- ديرموث** : لا داعى مطلقا للشكر فانه ليسعدنى أن أهزم « سين كللى » . لست أدري لِم تحبه يا ميكال ؟
- فان الرجل الذى لا يخطئ أبدا خطر داهم على أصدقائه جميعا .
- أوربوردن** : هل فى امكاننا أن نذهب الآن يا ديرموث ؟ ان انتظار هذه الليلة كاد يقضى علينا جميعا .
- ديرموث** : فى الامكان ذلك طبعا ، ولكن انتظر ، لقد قال لى فليم ان سكانلون ينتظر بجوار القنطرة .
- أوربوردن** : سكانلون ! ماذا عساه يفعل هناك بحق السماء ؟
- ديرموث** : (متهكما) ليتأكد ، على ما أظن ، انه سيكون هناك عند وصول كللى عصر اليوم .
- جونى** : ألا يوجد طريق آخر غير الذى بجوار القنطرة ؟
- أوربوردن** : كلا ، لا توجد أية طرق أخرى .
- ديرموث** : ولكن لا تخش شيئا ، فسأعمل على ابعاده . سأخذه صوب شجر الزان ، فان ذلك آمن لنا .
- جونى** : لن ننحرك من هنا حتى تفعل ذلك . اذ فى استطاعته أن يرى كل حركة من فوق القنطرة .

ديرموث : لا تبتئس الآن . سأخرج له قصة آليه بها
وأخذه بعيدا ، وفد أسلم لى قياده كالثور .

أوريوردن : وكم من الوقت سيتطلب ذلك منك ؟ ان القطار
سيصل فى مدى نصف ساعة .

ديرموث : ان عشر دقائق تكفى وسيصبح الطريق بعدها
آمنا خاليا مامكما . ان سكانلون ليس بالرجل
الذى يقوى على مقاومة موهبنى فى الحديث .
انتصحت العناية الالهية ياتريجارثن حتى تصل
سالما الى انجلترا .

جونى : لىكر الله معك أيضا . شكرا لك .

(يخرج ديرموث)

جونى : عشر دقائق !

أوريوردن : أوه ، القشة وظهر البعير ! ان الدقيقة هى مجرد
قشة ، وقد كانت بالأمس خفيفة تحملها الريح
كذبابة الصيف ، ولكنها الآن قد تضاعف وزنها
مئات المرات بسبب الانتظار الممل الثقيل .

جونى : والجو بارد أيضا .

أوريوردن : ان فصل الصيف لم يحل بعد ، والخامسة
والنصف فى الصباح ساعة شديدة البرودة . ان

من رحمة الله بنا أن يفرض علينا النوم في هذه الساعة لننعم بالأحلام .

جونى : أجل ، انها ساعة تستنفذ الشجاعة من القلب ، ألم تلاحظ أنت ذلك ؟ ففى خلال الحرب ، ذكر أنى كنت تقاسى فى هذه الساعة بالذات من المخاوف والرعب ما لم أقاسه طول اليوم ... أو حتى فى منتصف الليل .

أوريوردن : بالتأكيد ، فلكل ساعة روحها الملازمة لها ، وليست هذه من الساعات المفرحة . (ثم يقول فى مرح ليرفع من روح جونى المعنوية) انى لأذكر ، اننى قد اخترعت منذ مدة نوعا جديدا من الساعات ، ولم أكن اسمى كل ساعة برقمها العادى ، بل أطلق عليها اسما خاصا ... فمثلا ساعة النحلة وساعة البجعة وساعة البومة . أما هذه الساعة ، كما أتذكر ، فقد أسميتها ساعة الشيطان .

جونى : حدثنى عن ساعتك هذه حتى يمر الوقت .
أوريوردن : لا توجد طريقة أخرى أفضل من هذه ! حسن انها لفكرة موقفة كل التوفيق . لعلك تعرف سبعا

أن على وجه الساعة دائرتين مرسومتين بالميناء ،
الواحدة داخل الأخرى .

جونى : أجل ، أعرف ذلك .

أوريوردن : دائرة من الميناء السوداء فى الداخل لساعات
الليل ، ودائرة أخرى فى الخارج من الميناء
البيضاء لساعات النهار .

جونى : ولكن ساعات النهار تختلف باختلاف فصول
السنة .

أوريوردن : بالله عليك يا جونى لا تعارضنى هكذا ! لقد قلت
لك انه من المفروض ألا تكون هذد الساعة من
الساعات المحببة الى النفس ... انها مجرد فكرة
لساعة !

جونى : أوه ، لقد فهمت . ولم وضعت ساعات النهار على
الدائرة الخارجية ؟

أوريوردن : حسن ، ولِمَ لا ؟ لقد كنت شابا حينئذ ، وكنت
أنظر الى الأمور من جانبها المقرح . وعلى أية
حال قبلا من أن أحدد الساعات بالأرقام كما
لو كان الزمن مسألة حسابية ثقيلة ، حددت كل
ساعة بصورة صغيرة من الميناء الملونة ... كصورة
بومة أو طاووس أو تين أو رسم أى شئ أسمى

الساعة به . مفهوم ؟ ألا تبدو مثل هذه الساعة
جميلة المنظر فوق رف المدفأة ؟

جونى : انها لتبدو كذلك فعلا . هيا ، استمر ، حدثنى عن
الساعات لنملأ بها هذه الدقائق .

أوريوردن : لا أستطيع أن أتذكر كل شىء . لقد كان الظهر
ساعة النمر لأنها ساعة قوية يغلب على الانسان
فيها النعاس ، وتخطط الظلال السوداء الباردة
نورها الأصفر الدافئ .

جونى : هذا جميل . أراهن على أن كل ساعاتك الأخرى
لم تكن فى جمال هذه الساعة .

أوريوردن : كلا ، فان الساعة السابعة أو الثامنة مساء كانت
ساعة البجعة على ما أذكر ، لأن البجعة أكثر
ما تبدو كذلك فى المساء . ألا ترى هذا الرأى ؟

جونى : أجل ، وأكثر منه جدا ، فالنجوم المتلألئة فوقه
والنجوم المتألقة تحته تجعل البجع يبدو وكأنه
زورق أبيض هادئ .

أوريوردن : أو كملك يتربع على عرشه بين فلكين .

جونى : وهل كانت هذه الساعة ساعة الشيطان ؟

أوريوردن : أجل انها ساعة الشيطان . كم الساعة الآن ؟

- جونى : لم تكذبى خمس دقائق بعد .
- أوريوردن : ان الشيطان يتحرك ببطء ، أين جناحاه ؟
- جونى : وه ، كم كنت أتمنى لو أن ساعة البجعة كانت غدا . كلا ، بل اليوم ، اذن لكان الوقت يمر بأسرع مما تطير البجعة . كم أتمنى أن أضع حدا لكل ذلك فالجو بارد جدا . ميكمل ما هي الأغنية التي غنيتها مرة عن البجع في الليل ؟
- دندن لى هذه الأغنية بهدوء الآن . كم كانت أغنية جميلة !
- أوريوردن : كيف ذلك ! سيدو صوتى كتنقيق الضفادع في هذه الساعة . ان الشيطان ، كما تعلم ، لا يحب الغناء .
- جونى : ليذهب الشيطان الى الجحيم . لقد بدأ الطير يفرغ فلم لا تغنى أنت ؟
- أوريوردن : حسن ، حتى يمر الوقت . (يغنى) .
- قالت لى جييتى الصغيرة : ان أمى لن تعترض عليك .
- وان أبى رغم كل شيء لن يستهين بك .
- وقالت لى مؤكدة بعد أن خطت بعيدا عنى

لن يطول بنا الوقت يا حبيبي حتى تتزوجي .
جونى : (محدثا نفسه) لن يطول بنا الوقت يا حبيبي !
أوريوردن : يا لله . الدنيا برد ! انظر ، يا جونى ، فهناك
 باستمرار شاي على الموقد للحراس ، داخل هذا
 الباب الذى تراه . لشرب فنجانا من الشاي .
 اذهب واحضره فى سكون .

جونى : أجل ، فلنشرب الشاي .
 (يخرج جونى . يحرك مكمل ساعديه ليمنىء
 نفسه ثم يفف متصلبا يدخل فيليم بجوربه
 دون حذاء)

فيليم : استحلفك بالله يا ميكل ، ألسنت فى صحة جيدة ؟
أوريوردن : فيليم ! أجل . أجل انى بخير حال . لم تكن من
 النوم فحسب . ارجع الى فراشك الآن .

فيليم : ألا أحضر لك فنجانا من الشاي ؟
أوريوردن : كلا ، كلا ، ان ديرموث يعد لى فنجانا الآن .

فيليم : يا لله . ليس هذا الرجل كسولا أحق ؟ يستيقظ
 متأخرا ولا يكاد يصحو حتى يشرب الشاي !
 يخبل اليك أن فراشه امرأة وأنه يكره أن يفادره .
 مؤكدا أنت الآن انه ليس من شىء يمكننى أن
 أفعله من أجلك ؟

أوريوردن : كلاً ، كلاً ، لا شيء . ربما خرجت للتنزهة مع
ديرموث . عد الى فراشك الآن . طابت ليلتك ،
وليباركك الله .

فيليم : طابت ليلتك وليباركك الله يا ميكل .
(يحرح فيليم)

أوريوردن : (برقة) يا الله !

جونى : (من الباب الآخر) لا تقلق . لقد انصرف .

أوريوردن : أجل ، وسوف لا يعود . اننى وديرموث تتبادل
الغناء طول ساعات النهار والليل ، فلن يبدو له
ذلك غريباً .

جونى : (يضع فى يده فنجاناً ساخناً من الشاي) هيا
واشرب هذا فإنه شراب عجيب .

أوريوردن : (يشرب) آه ، أجل .

جونى : هل تذكر أيريق الشاي العجيب الذى أعدته
موللى صباح أمس ؟

أوريوردن : أجل . انه أول شاي شربناه فى العالم الذى خلق
من جديد ... أليس كذلك ؟ ... لقد شربناه نخبا
لبدء هذا العالم .

جونى : ان هذا الشاي جيد المذاق أيضا .

أوريوردن : أجل . كم الساعة الآن ؟

جونى : أمامنا سبع دقائق ونصف .

أوريوردن : يا لله ! متى ستنتهى اذن ؟

جونى : هل سيتمكن ديرموث من ابعاد سكانلون ؟

أوريوردن : سيتمكن من ذلك بكل تأكيد . انى لأتمنه على

حياتى وعلى ما هو أئمن من الحياة .

جونى : حسن ، دعنا نكمل الأغنية اذن . انها ستتملاً فراغ

هذه الدقائق الطويلة . لقد أصبحت حنجرتك

أدفاً الآن .

أوريوردن : ان المقطع الثانى يتحدث عن البجعة فى البحيرة ،

حيث يقول ... يعنى :

لقد خطت مبتعدة عنى وسارت الى السوق

وراقبتها وهى تتحرك هنا وهناك وقلبى اليها يتوق

ثم سارت الى البيت ولم يبق غير نجم فى السماء

كما تسير البجعة فوق سطح البحيرة ذات مساء

(فجأة) ترى ماذا كان ذلك ؟

جونى : انى لم أسمع شيئاً .

أوريوردن : ان هذا الصوت يشبه نداء البومة ، وأحياناً

ما يستخدمه ديرموث للانذار والتحذير .

اصغ !

جونى : لا شيء . ربما كان هذا صوت بومة حقيقية .

أوريوردن : أجل . ربما كان كذلك .

جونى : (مطلا من النافذة) انى لا أرى شيئا . (ينظر

فى ساعته) بقيت دقيقة أخرى . أفضل أن نعطي
دبرموت فرصة الدقائق العشر كلها .

أوريوردن : أجل . يجب أن تفعل ذلك .

جونى : غنى المقطع الأخير حتى يحين وقت الرحيل .

أوريوردن : (يبنى) :

فى الليلة الماضية عاد جى الضائع حين جاءت
جيبتى فى لهفة لم أسمع وقع أقدامها حين دخلت
بمنتهى الخفة . (يتوقف فجأة) آسف ، ظننت
أننى أسمع الصوت للمرة الثانية . (يبنى) ثم
وضعت يدها على وقالت لى مؤكدة :

لن يطول الوقت يا جيبى حتى زفاننا فيتحقق
أملى .

(ينهض فجأة ويتجه صوب الباب • يفتح
الباب فى هدوء ويرى كللى وسكانلون واقفين
هناك • يضع كللى يديه على كتفى أوريوردن
الذى يطلق صرخة عالية)

كللى : بؤسنى يا ميكل أن أجدك مستيقظا . لقد دخلت
بغفة حتى لا أيقظك .

أوريوردن : لماذا عدت ثانية ؟ وماذا تفعل هنا ؟ لقد قلت انك
ستعود عصر هذا اليوم ... جوني ... هل أصابنى
الجنون ؟ بالله عليك خبرنى : هل كللى حقيقة
هنا ، أم انى أصبت بالجنون ؟
كللى : أجل ، يا ميكل ، ان كللى هنا .

أوريوردن : ماذا تقصد برجوعات ثانية كالكابوس ولما يطلم
الصباح بعد ؟ رحماك يا ربى ، لقد ضاع أملى
بالتأكيد ... جوني ، لِم لا تتكلم ، هل أنت
معى هنا أم لا ؟ كلا ، لا تجب . اللهم اجعل هذا
حلما مزعجا ! وايقظنى ! اجعلنى استيقظ وأجد
جونى قائما على الحراسة بجوار فراشى وأن
الوقت قد حان لسفرد !

كللى : انك متيقظ تماما يا ميكل ، وانى لآسف جدا
لذلك ، فان لدى أخبارا سيئة بخصوص صديقك
كنت أرجو أن أجدك نائما ، وأن أوفر عليك
ساع هذا النبأ المحزن . لقد قدمت طلب العفو
كما طلبت منى ، ولكنه للأسف رفض . (يتحدث
بلهجة رسمية الى جوني) ان معى أمرا بتنفيذ
حكم الاندام ممهورا بامضاء السلطات العليا ،

وقد عهدوا الى بتنفيذ . أما الوقت المحدد فهو
فجر يوم الجمعة الثالث من أبريل (فترة متجمدة
من الصمت) .

جونى : الجمعة ؟ ولكن اليوم هو الجمعة ..

كللى : اليوم هو الجمعة ، والفجر منا قريب .

اوربوردن : سين ، لقد جننت بالتأكيد . لأى سبب تعذبنا ؟
لقد كنت هنا وسمعتك تقول : انه السبت
والسبت غدا .

كللى : أعلم ذلك ، ولكن الأمر بتنفيذ الحكم ينص على

يوم الجمعة ، واليوم هو الجمعة ، وهذا ما
يؤسف له . ولكن يجب علينا أن ننفذ الحكم
طبقا للأوامر الصادرة فى هذا الأمر .

اوربوردن : (بلا حول ولا قوة) ولكن ... أنا ..

كللى : (مخاطبا جونى) هلم الى الخارج معنا . هناك

قس وراع يتبع الطائفة الانجيلية . هل تريد أن
تقابل أحدا منهما ؟ (لا جواب) .

من منهما تريد أن تقابله ؟

جونى : أيهما ؟

كللى : الكاهن أم الراعى ؟ هل تريد أن تقابل أحدا

منهما ؟

جونى : كلا ..

سكانلون : (برقة) قد ترغب في ذلك بعد برهة .
 كلى : وفي هذه الأثناء يمكنك أن تقضى باقى الوقت
 فى كتابة الرسائل الأخيرة التى قد ترغب فى
 كتابتها . وسنتولى نحن أمر ارسالها وتسليمها .
 اقترح عليك أن تعتكف فى حجرة أخرى .
 سكانلون ، تفضل بمراقبة كاتبى تريجارثن
 واعمل على توفير كل ما يطلبه .
 سكانلون : سأفعل ذلك ، يا سيدى . هل تفضل بالذهاب
 معى ؟ أرجوك يا سيدى .
 (يخرج سكانلون وجونى الذى بدا عليه
 الدحول)

أوريوردن : (بعد برهة) سبن .
 كلى : نعم .
 أوريوردن : ألا يوجد أحد آخر غيرنا فى الحجرة ؟
 كلى : لا يوجد أحد .
 أوريوردن : أنت وأنا فقط ؟
 كلى : أجل أنت وأنا .
 أوريوردن : سبن ، لست أدرى لماذا لعبت علينا هذه اللعبة
 المروعة ؟ الله سبحانه وحده هو الذى يعلم ،
 لماذا ؟ انها لقسوة مريرة أن تحطم كل أمل لنا كما
 فعلت .

كللى : فى حالتنا هذه ، يا ميكل ، لم يكن هناك أى أمل ، وقد قلت لك ذلك .

أوريوردن : أوه ، ولكن كان هناك أمل ! كان هناك !

ولا زال الأمل موجودا ! لن نفقد الأمل ، أبدا !

كللى : لا تعذب نفسك أكثر من هذا يا ميكل ، لقد قاسيت بما فيه الكفاية .

أوريوردن : لقد فاسينا كلنا بما فيه الكفاية ، ياسين . كلنا .

فلم نبحت عن المزيد من العناء ؛ أن فى مقدورك أنت أن تتقدنا . كلمة واحدة منك فيظت جون

من الموت ، كما يمكننى أنا أن أنجو من حزن يفوق حزنى على فقد نور عينى ، وأنت نفسك

يا سين ، يمكنك أن تنجو من الندم على ما ستفعل . الندم المرعب على كل ما ستفعل .

وفى هذه المره سوف تشعر بالندم ياسين ! قد تدعى أنه لم يسبق لك فى حياتك

كلها أن شعرت به ، ولكنك الآن سوف تشعر به ! ستشعر بالندم الآن حتى ولو لم تكن قد شعرت

به أبدا من قبل !

كللى : ربما شعرت بالندم ، أخيرا . انه جزء من الثمن

على ما أظن .

أوريوردن : ثمن ؟ ثمن أى شىء ، بالله عليك ؟

كللى : لا يمكننى أن أجيبك على ذلك الآن يا ميكل .
أوريوردن : سبن : انك لا تدرك مقدار القوة التى تمكن وراء كلمة واحدة منك . لقد كان من المتفق عليه أن يتزوج جوني بموللى ، هل عرفت ذلك ؟
كللى : لقد كنت أتوقعه .

أوريوردن : وكنت أنا أساعده الآن على الفرار ... هل علمت بذلك أيضا ؟
كللى : لقد توقعت ذلك أيضا .

أوريوردن : وأن موللى ، فى هذه اللحظة بالذات ، تركب قطار الصباح الذى سيصل الى هنا بعد ربع ساعة ، فى هذه اللحظة بعينها ياسين ، وهى تحمل أثقالا من الأمل والحب مما ينوء بحمله قلبها الصغير . وقد اتفقت أن تعطى الإشارة لجونى ، وهى صفارات ثلاث يطلقها القطار ، فيقفز جوني الى القطار عند المنحدر . وقد عمل الاثنان ترتيباتهما على أن يجحرا سويا فى أمان الى انجلترا . تلك هى الخطة التى أعدت ياسين . ولكن الآن ، لمجرد أنك فكرت صدفة فى الحضور الينا صباح اليوم بدلا من بعد الظهر ، فان كل الأجيال من أبناء وأحفاد وأحفاد تحبس اليوم أنفاسها لتعلم ان كان سيقدر لها الوجود

والحياة أم لا . فهل سيقدر لهم أن يولدوا
ويعيشوا ؟ كلمة منك - كلمة واحدة - تكتب
لهم الحياة ، أو كلمة واحدة من الناحية الأخرى
فلا يقدر لهم الوجود اطلاقا . هذه هي القدرة
التي تكمن وراء كلمة واحدة منك . انها لتشبه
قدرة الله عز وجل . في امكانك أن تهب الحياة .
(كللى لا يجيب) . سين ! أين أنت ؟

كللى : هنا .

أوريوردن : وكثيرون ينتظرون منك الاجابة بالاضافة الى
جونى . ان موللى منتظرة ، ووالد جونى منتظر ،
وأنا منتظر . وأنى لأتوسل اليك بدافع الحب
الذى تكنه لى - وانى لأؤمن بأنه حب عظيم -
أن تدير وجهك الناحية الأخرى وأن تسمح
لجونى بالذهاب .

كللى : ليس من العدل أن تلقى باللوم كله على يا ميكى .
ففى الحرب - وهذه حرب كما تعلم - من
الذى يموت ؟ لا نعرف ذلك عادة - أنت وأنا
طالما فعلنا هذا . - كنا نضوب بنادقنا ونسحب
الزناد ، ولم نكن ندرى أى قلب ستخترق
طلقاتنا . فهذه مشيئة الله وارادته وحده . لقد
صدرت الينا الأوامر وعلينا أن نطيعها ، أما

الظروف المؤثرة المحيطة بأولئك الذين سيقتلون
فهي في العادة غير ظاهرة أمامنا ، ووجه الاختلاف
الوحيد الموجود الآن هو أن الظروف ظاهرة لنا ،
وهذا لن يخلينا من أداء الواجب بل يزيد في
صعوبة علينا فقط .

أوريوردن : ولكن الحال هنا غير الحال . ففي الحرب اما أن
تقتل أو تقتل ، والدم حار ، وكلنا أمل في أن الله
سوف يغفر لنا . أما الآن فالأعصاب هادئة ،
وان نحن قتلنا فانا نقتل دون عاطفة ، ورحمة
الله الواسعة يمكنها أن تخفف من حدة هذا
الحقد ! « سين » ، انى أعلم أنك مخلوق صلب
المادات وربما كان هذا ما جعل منك جنديا
شجاعا فذا ، ولكن هذه العادات تتسلط عليك
أكثر مما تتسلط على غيرك من الناس . وانى
لأذكر أنك قلت : بالأمس فقط ، أنه قد مضى
عليك عشر سنوات لم تتناول فيها العشاء الربانى ،
وأنه ليس في امكانك أن تكسر هذه العادة .

لقد قضيت شبابك في درع من العادات ، لم
تحاول مرة واحدة أن تخلعه لتعضى أمرا تمتد
أنه غير عادل . ولكن المؤكد أن العادات يجب

أن تكسر في بعض الأحيان ، والا فقلت تفكيرك
وجعلت قلبك حجرا صلبا لا يلين .

هيا وخبرني الآن وأجبنى بصدق ، أى نوم
سيجافى عيونك ، وأى نذى سيحقيق بك ان أنت
سمحت لاجونى بالهروب ؟ ولنترض أنك عدت
الينا متأخرا نصف ساعة أو أننا فد أعددنا خطة
الهرب قبل ذلك بنصف ساعة — أما كنت تميز
كتفيك دون اكرتات وتبتسم ؟ وكنت ترسل
تقريرا الى هيئة القيادة تقول فيه أن المصفور قد
طار من القفص .

ما الذى يمنحك الآن من اجابتى الى الشىء
الوحيد الذى طلبته وسأطلبه منك ؟ أستحلفك
بالله وبالمحبة ... هبنى حياة صديقى .

كللى : لو أن الأمر بهذه السهولة يا ميكل لما ترددت .
ففى سبيلك يا ميكل أكر أكثر من عادة ، بل
لعلى أفعل ذلك الآن بالفعل . ولكنك مريض ،
يا ميكل ، ولن يمكنك أن تعرف ما فيه خيرك
كما أعرف أنا ذلك الآن .

أوريوردن : انى لا أريد ما فيه خيرى ! اذ من يدري ذلك
غير الله وحده ؟ فلا أنا ولا أنت بقادرين على أن
نرى أبعد من هذه اللحظة التى نحن فيها ، وكلانا

هنا في هذه الحجرذ وجونى يكذب فوق ؛ وموللى
 فى القطار تقيس نبضات قلبها بصوت عجالات
 القطار الذى يسير بها الى الشمال ... الينا . انى
 لا ارى شيئا بعد من هذا فقط . كما أعلم أن
 الدقائق القليلة القادمة قد تحطم أو على الأقل
 قد تشكل حياة أربعة من الآدميين . انك تتكلم ،
 كما يتكلم الطبيب ؛ عن المرض ... أفضل شىء
 لى ! أفضل شىء لى أنا ! أنى بالتأكيد أقل
 الأربعة — الذين يتوقف مستقبلهم على كلمة
 منك — شأنا . ان مستقبلى مظلم ، ما فى ذلك
 شك ، وسيظل مظلمًا . فهل سنتطفىء النور فى
 عيون الآخرين أيضا ؟

كللى

: انك الشخص الوحيد الذى يهمنى من هؤلاء
 الأربعة ، يا ميكل ، وان الألم الذى تعانیه الآن
 انما تسببه أنت لنفسك . مثل هذا العذاب
 يا ميكل ؛ كما يقول الروائيون قد مارسه من
 قبلك أعضاء محاكم التفتيش ... وهو عذاب
 الأمل . فقد كانوا يفتحون أبواب السجن أمام
 المسجون فيخف هذا الى طرقات السجن فيسلكها
 آمنا ؛ ثم يمر بجانب الحراس ثم يخطو خارج
 باب السجن الرئيسى الى الحرية ، وهناك

يفاجئه ، على العتبه ، رئيس محكمة التفتيش ،
وأنت أيضا يا ميكل يمدبك الأمل ، ولكنى لم
أترك لك الأبواب مفتوحة ولا الطرقات دون
حراسة ولا الأبواب الخارجية دون حارس ، لقد
أوضحت لك من أول الأمر ما يجب أن يحدث ،
علما بأن ذلك سيكون أقل فسوة عليك ، ولكنك
آثرت أن تعذب نفسك .

أوريوردن : ولكن ، « ياسين » ، هناك أشياء فيما تقول
يعجزنى فهمها كلية . لقد صرحت ، منذ دقيقة
أو اثنتين أنك على استعداد لأن تكسر أكثر من
عادة من عاداتك من أجلى ، وفي اللحظة نفسها
تقول انك لن تفعل ذلك . تتكلم عما فيه خيرى
أنا ، وما دخلى أنا فى الموضوع الا باعتبارى
صديقا لهما وصديقا لك ، وان أنت سممت على
تنفيذ ما تريد فسا فقدكم جميعا : جونى وموللى
— وأنت ياسين ، سأفقدك !

كللى : اعلم ذلك . (يتلوى من الألم) .
أوريوردن : ورغم هذا لا تنقذنى ... ألم تقل انك لا تفكر
الا فى أنا وحدى ؟

كللى : ميكل ، قد تظن أنى قاسى القلب ، والواقع أنى
كذلك الى حد ما . انى لا أقاسى كالأخرين من

الندم والحنين ، ولكنى أعلم ما أحب ومن أحب ،
 وأنا على حبي مقيم . لقد كنا دواما أصدقاء
 حميمين بصفة خاصة ، ومد أن فقدت أنت
 بصرك وعشت في الظلام فان عيني هي التي ترى
 لك الطريق . وفي مقدور عيني أن تريا الآن
 ما فيه الخير لك . عليك أن تثق بى يا ميكل ،
 أردت أم لم ترد . لقد طالما أحببت الناس حبا
 ملك عليك عقلك وقلبك حتى لم تترك لنفسك من
 هذا الحب شيئا . لقد اعتدت دائما على عدل
 كل ما فيه خيرهم هم لا خير نفسك . ولكنى
 الآن وقد تسلمت زمام الأمر فانى سأعمل ولو
 هذه المرة على الأقل ما فيه خيرك لا خيرهم .

اوريووردين : انى لا أفهمك يا سين ، لا أفهمك ...

كلى : ان الحب يلبس أقنعه كثيرة يا ميكل . انظر
 حولك : فحب صديقك يلبس القناع التقليدى ...
 قناع الغرام ، وحبك يلبس القناع الذى يمكننا
 أن نسميه قناع البذل والعطاء ، وقد يأتى اليوم
 التى تتمكن فيه - وأنت تنعم في السعادة
 والنعيم - من أن ترى حقيقة ما يخفيه قناع
 الشيطان الذى يلبسه حبي أنا الآن .

اوريووردين : ولكن كيف يمكن أن أنعم بالسعادة ؟ انك

لا تدري ما تفعل . لعلك تظن أن كل شخص آخر يشعر بمثل شعورك . ان حبي لا يلبس أى قناع . البذل العطاء ؟ ماذا تقصد ؟ انه ليس بالعطاء الشريف ولا بالاشارة الجريئة يمكنك أن تخنى القلب الكبير الذى يشبه قلبى . انك تتحدث كما لو كنت تعقد أننى سأغدو رجلا سعيدا ان أنا تمكنت من الزواج بموللى ، فاذا كان ذلك هو ما نظنه يا سين فانى أقسم لك بالله - - وأرجوك أن تصدقنى - انك مخطىء ، ان سعادتى الآن مرتبطة بسعادة جونى وموللى ، سعادتهما معا . هل تدرك ذلك ؟ سعادتهما هما الاثنان ان سعادتى الوحيدة فى الحياة هى انعكاس لسعادتهما وهذا ما يجعلها جميلة .

كللى : لقد أدركت أنك يا ميكل تتكلم من الظلام الذى تعيش فيه ولكن النور يتجمع فى الخارج ... وسوف يطلع الفجر عما قريب .

أوريوردن : فى امكانك أن ترى فى الظلام أكثر وأوضح مما يمكنك أن ترى وقد أعمى النور عينيك . سين ، ان الوقت يسر وأنا ... أنا لا أدرى ماذا أقول . ساعدنى -- يا الهى -- فلم تعد الكلمات ، فى ظنى ، تؤدى المعانى التى كانت تؤديها . لقد قلت

لك ، انك ستهدم حياتى فوق راسى كما تحطم
الرياح العاصفة البرج الأسود ، هذه العاصفة
التي كانت دوما ، وحتى هذه اللحظة رياحا
مؤاتية هادئة لطيفة . ولكنك تجيبنى فى صراحة
بأن ذلك لن يحدث . فكيف أستطيع أن أفهمك
ذلك يا « سين » ؟ لا تطلق بابك دونى ياسين !
كيف يمكنك أن ترى الألم الذى يعذبنى ، وكيف
يمكنك أن تطبق رؤيته ولا تنطق الكلمة الى
تزيله وتمحوه !

كلى : انك تفكر فى اللحظة التى نحن فيها فقط ، ولكنى
أفكر فى حياتك كلها . ان الحزن المشترك بينكما
رباط قوى . فتقبل ما سوف يحدث ، يا ميكل ،
ولا تدع الأمل يتدخل ، فان يستطیع الأمل أن
يقدم لك أية مساعدة الا أن يعذبك . واذا كان
هناك شئ ، واحد مؤكد الحدوث فى هذا اليوم
فهو أن كابتن تريجارثن سوف يموت ومتى
اقتنعت بهذه الحقيقة فرعان ما يتوقف هذا
الألم المتزايد الذى تحسه وستكفل الزمن
بالباقى . انى أحاول أن أطف من حدة آلامك
باتزاع كل أمل منك .

أوربوردين : (محطما) ولكنى أحبه ... أحبه ...

كلى : ها قد صاح الديك . ان الوقت قد حان ...
ولامست أشعة الشمس قمم أشجار الزان .

أوريوردن : وكنت أعتقد طوال هذه السنين أنك صديقى !
ومَن هو الصديق بحق السماء ، اذا كان يرفض
أن يقول كلمة ينقذ بها شخصا من الموت ويقذنى
من هم دائم وحزن مقيم طوال حياتى : أليس
هذا شيئا يتحتم على أن أكرهك من أجله الى
الأبد ؟ أقسم بالله ، لو أن لى عينين أبصر بهما
لاترعت قلبك من بين جنبيك وانت على قيد
الحياة ! يالك من جان ، كما تبين لى آخر الأمر
وأنت تنجح وتماظم على متسول أعمى ،
متسول أعمى يصرخ طالبا الاحسان والرحمة
ولكنه يعود الى بيته خالى الوفاض .

كلى : (واضعا مسدسه بلطف فى يد أوريوردن —
ثم يقول فى هدوء) ان رأسى فى نفس المستوى
الأفقى وعلى مرمى الهدف من المسدس ، وعندما
أموت ستصبح أنت الضابط الأول .

أوريوردن : (مرعوبا ولكن لم يستسلم للأغواء) لا أقدر ...
لا أستطيع ...

كلى : انك لست هادىء الأعصاب . هاك رأسى المسها
حتى لا تخطيء الهدف (ثم يأخذ المسدس بلطف)

ها أنت ترى ، يا ميكيل ، أن البت في أمر الحياة
أو الموت ليس بالأمر السهل ، لهذا دعني آخذ
عنتك عبء اتخاذ مثل هذا القرار .
(يدخل جونى وسكانلون)

أوريوردن : هل ...

جونى : (يعطيه خطابين) هذه ... سلمها ...

أوريوردن : أجل .

كللى : ألا يوجد لديك أى شيء آخر ترغب في أن تقوله؟

جونى : أقوله لك ، كلا .

(فى خلال المشهد القادم يظل أوريوردن
ممسكا بأوراق الخطابات البيضاء فوق
قلبه)

سكانلون : هل أنت متأكد الآن من أنك لا تحب أن تقابل
الكاهن ؟

جونى : لا تجزع من أجلى . لست قلقا عليك .

سكانلون : كلا ، يا سيدى (خجلا) .

كللى : (يعطى سكانلون قطعة مربعة من الورق

الأبيض — يقول له بصوت خافت) ضع هذه
فوق القلب .

(يضطرب سكانلون وهو يثبت الورقة
البيضاء فوق قلب جونى . يضعها أوطا قليلا
من مكان القلب)

- جونى : (بمتى الهدوء) إن قأبى أعلى من ذلك بكثير .
- سكانلون : (وهو يضعها فى المكان المناسب) آسف
يا سيدى . انى آسف يا سيدى .
- أوريوردن : أوه ، جونى ، لقد حاولت ، حاولت ..
- جونى : أجل ، أعرف ذلك .
- كللى : هل نمضى الآن ؟ انهم ينتظروننا على هذا الجانب
من شجر الزان .
- جونى : وداعاً ، يا مېكل ، أشكر لك هذه السعادة
العظيمة .
- أوريوردن : (محطماً) جونى ... جونى !
- (يخرج سكانلون وجونى . ينفى كللى لحظة
وهو ينظر الى أوريوردن ثم يرحل)
- أوريوردن : (بعد ثوان) سين ! سين !
- (عن بعد . تسمع صفارات الفطار الثلاث)
- أوريوردن : أوه ، يا الله ، يا مخلصى ، ما الذى يحدث الآن
فى النور ؟
- (من الخارج ، تسمع الأوامر الصادرة
بالتصويب نحو الهدف وإطلاق النار ينبعها
وابل من الرصاص . يقف أوريوردن منهذلاً
وورق الخطابات الأبيض ما يزال على قلبه)
(عن بعد تسمع ثلاث صفارات أطول تشبه
صراح امرأة ، وأثناء الصفارة الناشئة والأخيرة
تسدل الستار ببطء)
- ختام